دراسات فى الأدب والنقد
(١) أدب الطفولة

أدب الطفولة

«أصوله ومفاهيمه «رؤى تراثية»

تأليف
د. أحمد زلط

الشركة العربية للنشر والتوزيع

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٩٧

أدب الطفولة تأليف د . أحمد زلط
الطبعة الأولى ١٩٩٠م
الطبعة الثانية ١٩٩٢م
الطبعة الثالثة ١٩٩٤م
الطبعة الرابعة ١٩٩٧م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

جميع حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة للشركة العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة ج . م . ع «٤٢ (أ) شارع جول جمال المهندسين» .
ت : ٣٠٣٦٣٠١

ولا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأى طريقة إلا بموافقة الناشر كتابةً ....

«الناشر»

إهداء :

★ إلى الأستاذ الدكتور الطاهر احمد مكى..

★ وإلى الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام .

العطاء والأستاذية

أهديهما معاً هذا الكتاب تحية العرفان الموصول

أحمد....

مقدمة الطبعة الأولى :

* أدب الطفولة أو أ دب مرحلة الطفولة Chidhood هو أحد الأنواع الأدبية المتجددة فى أدب سائر اللغات الإنسانية ، وقد بدأ الأدب العربى الحديث يهتم بهذا اللون المتجدد فى ميادينه البحث والإبداع والوسائل ، ومن المعروف أن خزانة التراث العربى مملوءة بأشكال التعبير الأدبى – فى الأدبين الرسمى والشعبى – والتى تتوجه إلى مراحل الطفولة فى أطوارها المختلفة . وأدبنا الموروث لم يهمل الطفل وأدبه فى مجالى الشعر بالرغم من اهمال العقل العربى المبدع - عن غير قصد – لمسألة المواضعة المصطلحية لأدبيات الطفولة أى تحديد مسمى لذلك الجنس المتجدد . يكفينا النتاج الابداعى للطفولة المدون فى أمهات كتب التراث العربى . وفى الأدب الشعبى والشفاهى للطفل الذى تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل وفى اسهامات كوكبة من المحدثين والمعاصرين فى ذلك المجال .

ويحاول هذا الكتاب – عزيزى القارئ – أن يطلعك على نتائج رحلة شائقة شائكة ، قضاها المؤلف لسنوات طوال بين آثار عبقرية القدامى واسهامات المحدثين فى مجال أدب الطفولة . إن أبرز محاولة منهجية إستهدفها هذا الكتاب هى : التأصيل التاريخى والفنى لأدبيات الطفولة . وأزعم فى محاولتى أنها قد تسهم بدرجة ما فى تحديد المفاهيم اللغوية والإصطلاحية والفنية لأدب الطفل العربى وفى استقراء تاريخه ، وانواعه ومفاهيمه .

وهذا الكتاب أيضاً لاينفصل فى مقاصده وبعض أفكاره عن الجهود المتميزة لأصحاب المؤلفات التربوية أو الأكاديمية أو الدراسات العامة التى سبقت اصدار مثل هذا الكتاب وأقتربت من التخصص الدقيق (أدب الطفولة) كعلم أدبى شأنه شأن العلوم الأخرى فلقد أسهمت جهود كوكبة لا يستهان بأدوارها الفكرية الحديثة والمعاصرة فى ذلك المجال من علماء الأدب وعلم النفس والتربية أو خبراء وكتاب الطفولة من أمثال: د . عبد العزيز عبد المجيد(القصة فى التربية) ، د . عبد العزيز صالح (التربية والتعليم فى مصر القديمة) ، د . سهير القلماوى(ألف ليلة وليلة) ، د . على الحديدى (الأدب وبناء الأنسان = فى أدب الأطفال)، د . مصطفى الجوينى (حول ادب الأطفال)، د . هدى قناوى (أدب الأطفال،

وسائط أدب الأطفال) ، د . هادى الهيتى (أدب الأطفال = ثقافة الأطفال)، د . نفوسة زكريا (خرافات لافونتين)، بالاضافة إلى الاسهامات البحثية والابداعية لعبد التواب يوسف ويعقوب الشارونى وأحمد نجيب ومحمد محمود رضوان ونظرائهم .

والأمل عريض فى أن تتاح لنا الفرصة كى نتناول بالنقد والتحليل الانتاج الأدبى لرواد أدب الطفولة فى مصر ، فبين أيدينا – قيد الطبع – دراسات حول أدب الرواد : عثمان جلال ، وأحمد شوقى ، ابراهيم العرب وكامل الكيلانى ومحمد الهراوى ، باعتبارهم الرواد الأوائل فى الأدب العربى (الحديث) الذين عبدوا الطريق أمام أدب الطفل ، كما نأمل أن نتوفر بالدراسة والتحليل لتناول الإسهامات المهمة فى هذا المجال – فى دراسة أخرى بحيث نقف عند إنتاج بعض المبدعين أمثال : عبد التواب يوسف، عبد العليم القبانى، سعيد العريان، محمد السنهوتى، أحمد سويلم وأحمد زرزور وحسين على محمد، وأحمد فضل شبلول، سمير عبد الباقى، وأحمد الحوتى، ويس الفيل ومحمد فريد معوض وغيرهم من الأدباء الذين يشكلون خارطة أدبيات الطفولة المعاصرة فى مصر موازنة مع كوكبة أدباء الطفولة فى الأقطار العربية الشقيقة .

يبقى أن أقدم هذا الكتاب الجديد للمكتبة العربية، ولست أدعى فيه مؤلفاً مثالياً بريئاً من المغامز، وحسبى اننى توخيت الموضوعية ، أجتهد مع الفريق البحثى العربى الذى يملأ الساحة المعاصرة . . أقدم للطفولة أشرف المحاولات وأنبلها فى ميدان العلم .

وما أوتينا من العلم الا قليلا،،،

والله الموفق والمسدد للصواب

المؤلف

ص.ب ١٧١ الزقازيق

جهمورية مصر العربية

هاتف (٣٤٢٣٦٠١) ٠٥٥

مقدمة الطبعة الرابعة :

هذه الطبعة . . .

.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبين يدى جمهور القراء – هذه الطبعة الرابعة – من كتاب(أدب الطفولة : أصوله . . مفاهيمه) ولعل توالى إصدارها بهذا المعدل – منذ صدور الطبعة الأولى عام ١٩٩٠– انما يصادف مردود الثقة الغالية لدى جمهور القراء والبحاث والآباء من المعلمين والمربين وسائر المهتمين بأدب الطفل وثقافته . لقد استهدفت الطبعة – كسابقاتها – أن تحافظ على الهدف الذى صُنفت من أجله وهو محاولة(التأصيل التاريخى والفنى لأدبيات الطفولة) باستقراء الأصول التراثية فى لغتنا وآدابنا ؛ مما يسهم فى تعبيد الاسس أو المفاهيم الأكاديمية فى مجال أدب الطفل الموروث وأنواعه .

والمؤلف يدفع بكتابه فى تلك الطبعة الرابعة المنقحة وهو شبه راض ؛ حيث تم تصويب بعض الأغلاط الطباعية أو ملحوظات ابراز العناوين . كذلك تم الافادة من الآراء العلمية الثاقبة التى أشار إليها بعض النقاد فى معرض تنويههم بالمؤلف حال صدوره ، أما الآراء الشخصية أو الانفعالية أو الجزئية القاصرة ، فلم تعبأ بها الطبعة .

أحمد الله عز وجل الذى وفقنى لبلوغ شطآن أحد مرافئ جزائر الأدب الرحبة :

أدب الطفل ، الذى أراه – بعد توالى اصدارى لعدة كتب أو طبعات فى مجاله التنظيرى والنقدى – أراه أدباً نوعياً خالصاً فى : أنواعه وخصائصه الفنية الذاتية ، ثم يلى ذلك طرق تدريسه أو اكسابه أو تذوقه عبر «الوسائط» أو «المناهج» ، والمناشط .

إن وسائل أو وسائط أدب الطفل تتسيد الساحة المعاصرة فى غيبة الأدب ذاته ، وهو ما حاولت مجهوداتى المتواضعة أن تطرح الأصيل والأصوب دون فصل التعارض بين (الابداع) والوسيط) ؛ كذلك حاولت أن أتعقب المتطفل ! فى منظومة موضوعية سدتها العلم وغاياتها البناء الأمثل لناشئة الأمة . وعلى الله قصد السبيل .

أحمد ....

الباب الأول

الأدب والطفولة

«الأصول والمفاهيم التراثية»

مدخل

الطفولة هي الغرس المأمول لبناء مستقبل الأمة ، والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أي مجتمع يخطط لبناء الإنسان الذي يعمر به أرضه ويدعم بفاعليته وجوده الإنساني ويؤكد تواصله الحضاري . والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس ؛ لأننا لو نظرنا إلى الحياة في وجهها المضئ لرأينا أن مايمنحها الجمال والسعادة أمران اثنان هما : المال والأبناء ، يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم:

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾"الآية ٤٦ سورة الكهف" .

فالأموال والأولاد هما الثروة في جانبيها المادي والبشري ، وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون .

وفي أهمية الالتفات الى الطفولة وحسن رعايتها يقول الرسول الكريم (ﷺ) في الحديث النبوي :(الولد من ريحان الجنة)(١) . وعبر الأدباء عن مكانة الطفل الى النفس ، ففطن رجاله الى التعبير عن ذلك عن طريق النثر والشعر، ويقول الشاعر العربي حطان بن المعلى(٢) في مقطوعته الشعرية الضادية :

أنزلني الدهر على حكمه	من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى	فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر ، ويا ربما	أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات ، كزغب القطا	رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عيني عن الغمض

(١) رواه الحكيم الترمذي ؛ وتشير أيضاً كتب السيرة ، والأخبار واللغة والأدب في اكثر من موضع منها الى أى مدى بلغت عناية الأوائل بالطفل ، وتزايد هذا الاهتمام بظهور الاسلام ولقى الطفل في ظل الحضارة الاسلامية أوجه العناية المتكاملة وأبرزها تغيير النظرة الجاهلية للطفل الانثى وتحقيق الرعاية المتساوية بين الذكر والأنثى من ولادتهما حتى يشبا .

(٢) حطان بن المعلى المخزومي القرشي ، شاعر اسلامي ، انظر . شرح ديوان الحماسة ، محاضرة الأخبار ومسايرة الأبرار ص ٣٢ ، ص ٢٠٨ .

وإذا كان الأدب هو الصورة الراقية فى سجل الحياة المكتوب ، فان هذا الكتاب سيحاول رصد جذور(أدب الطفل) فى تراثنا العربى والإسلامى لسبر ظاهرة وجود هذا الجنس الأدبى فى الأدب العربى فى ظل الحضارة الاسلامية .

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان فى أحسن تقويم ، وميزه عن سائر المخلوفات بالعقل والتفكير والحواس التى تنبض برقة المشاعر وفيض الاحساس . يقول فى ذلك عز من قائل **﴿الذى أحسن كل شئ خلقه ، بدأ خلق الانسان من طين . . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾** الآيات (٧ -٩) سورة السجدة . لقد خلق الله الانسان وهيأ له كل الأسباب للبحث فى الكون ، باعتباره خليفة الله فى الأرض المكلف بحمل الأمانة بأعبائها العظام **﴿أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان﴾** . الآية (٧٢) سورة الأحزاب . وفى سبيل قدرة الانسان على حمل التكاليف الثقال زوده الله سبحانه بوسائل الاتصال التى يتمكن عن طريقها من بناء جسور بينه وبين من حوله ، ومن ثم القدرة على الادراك والانتباه والتذكر ، والتمييز بين المتناقضات ، قال سبحانه وتعالى : **﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين﴾** الآية(٨ - ١٠) سورة البلد . ومما لاجدال فيه أن الطفل يولد وقد زود بكافة وسائل الاتصال للتعامل مع كل المحطين به ومن ثم تنمو كل الحواس ، ويلعب أول دور ملحوظ فى أدوار التربية من خلال الوالدين ففى الحديث النبوى يقول الرسول ﷺ : **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه[1])** . أما مراحل اكتساب القيم والاتجاهات والسلوك فتجئ من خلال روافد متنوعة ؛ أهمهما كيف يتعلم الطفل، ويدرك ويتأثر، ويختزن طوال مراحل طفولته المتدرجة أساس تلك القيم لمستقبل ينتظره . وقد قال الأمام على بن أبى طالب (علموا بنيكم غير أخلاقكم ، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم[2]) **ولو استعرضنا معنى التربية لغة ومعنى باعتبارها وسيط تعليمى تربوى فعال؛ بل هى عماد** عمليات التنشئة المتكاملة ، سيطالعنا الأصل اللغوى للكلمة فى مادة (ربب) ففى لسان

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة ، انظر هامش أحياء علوم الدين جـ ، ص ٧٢ .
(٢) ينظر : مجلة المنهل ، ملف العام الدولى للطفل ، ع ٤٣٤ ، السعودية ١٤٠٥ هـ .

العرب لابن منظور تجئ ربب بمعنى: **(الرب يطلق فى اللغة العربية على المالك ، والسيد والمربى والقيِّم والـمُنعم . . وربيت القوم سُستهم أى كنت فوقهم**[1]) وفى الحديث لك نعمة تربها أى تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربى الرجل ولده . . .

وفى حديث ابن ذى يزن : أسد تربب فى الغيطان أشبالاً ، أى تربى وهو أبلغ منه ومترب بالتكرير الذى فيه ، وتربيته وأربته ورباه تربية على تحويل التضعيف ، أيضاً أحسن القيام عليه ووليه كان ابنه أو لم يكن [2] . وينسب التهانوى صاحب كشاف إصطلاحات الفنون – الربانى الى الرب فيذكر: الرب هو إنشاء الشئ حالاً فحالاً الى الحد التام[3] وقد قال الأمام البيضاوى(٦٨٥ هـ) أن : الرب فى الأصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به تعالى للمبالغة ، وهو متأثر فيما أرجح – لمقوله وردت فى هذا المعنى بكتاب مفردات الراغب الأصفهانى (٥٠٢ هـ) هى : الرب فى الأصل : التربية ، وهو انشاء الشئ حالٌ فحالاً الى حد التمام[4] وتنطبق تلك المقولة على تربية الطفل من حين ولادته الى أن يبلغ ويشب ومن قبلهما قال حاتم الرازى (٣٢٢ هـ) فى كتاب الزينة: الرب من التربية ، واشتقاق الرب من التربية ، يقال رباه يربيه تربية يربته تربيباً . . . إنما قيل للمخلوق رب الشئ لأنه يسوسه ويديره . . . والتربية هى القيام عليه بالاصلاح حتى يبلغ المراد ومن أجل ذلك سمى الربائب لأنهن يتربين فى حجور أزواج أمهاتهن فكأنهم قاموا باصلاحهن حتى بلغوا[5] . قال الله عز وجل **﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾** الآية ٢٣ سورة النساء . . وغير الأصل اللغوى لمادة (ربب) فى المعاجم عند علماء اللغة ، نستطيع أن نستعرض بعض المفاهيم الاصطلاحية للتربية الموروثة ، فقد وقف أصحاب المذهب الفلسفى المثالى عند مفهوم التربية موقفاً يتلخص فى إعداد العقل السليم فى الجسم السليم على نحو ماقال بذلك أفلاطون وأرسطو . وتعنى التربية عند الفيلسوف الطبيب (ابن سينا) سياسة ؛ وقد عبر عن ذلك بقوله :(سياسة الرجل أهله وولده)[6] .

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، جـ٢ ، ص ٣٨٤ ، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة د . ت .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٣) ، (٤) كشف اصطلاحات الفنون ، التهانوى ، جـ ٤ ص ٤ط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) أصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوى ، ص ١٣ ، دار الفكر دمشق ، ١٩٧٩ م .

(٦) كتاب السياسة ، تعليق يونس البسوهى ، ص٤ ، ط البستان بيروت ١٩٨٥ م .

وتنبه أدباء اللغة العربية الأوائل لأهمية التربية فى اطارها التهذيبى للناشئين فقال بعضهم : اطبع الطين ما كان رطباً وأغمز العود ما كان لدنا وقال الشاعر:

إذ المرء أعيته المروءة ناشئاً   فمطلبها – كهلاً – عليه شديد

وشبيه به قول البوصيرى :

والنفس كالطفل أن تهمله شب على   حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقال شاعر من شعراء الحكمة :

وإن مـن ادبـتـه فـى الـصـبـا   كـالعـود يسقـى الماء فـى غرسـه

حـتـى تـراه مـورقـا نـاضـراً   بـعـد الذى أبـصـرت مـن يـبـسـه

والـشـيـخ لا يـتـرك أخـلاقـه   حـتـى يـوارى فـى ثـرى رمـسـه

ولم ينفصل مفهوم تربية الطفل بمعناه اللغوى أو الاصطلاحى فى الحضارة الاسلامية عن الآداب العامة ونعنى بها السلوك والتهذيب والتأديب ورعاية الناشئة بأدب الدنيا والدين، حقاً إن التربية لم تقترن فى تاريخ الأدب العربى بأواصر ترادف مع الأنواع الأدبية أو فى أوجه الشبه أو فى التماثل لمفهوم اصطلاحى مشترك الأغراض لمعان لغوية تجمعهما ، ولكن الذى لاشك فيه أن الأدب والتربية اشتركا معاً فى توجيه الأغراض الخلقية والقيم السلوكية الايجابية التى حث عليها الدين والقيم العليا بين الجماعات البشرية ، كما ان العلميات التربوية تستنبط من المفاهيم اللغوية العناصر التى تمكنها من رعاية الأطفال والناشئة من مثل(المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها . . . تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهى كثيرة ومتنوعة توجيه هذه الفطرة وتلك المواهب كلها نحو صلاحها وكمالها اللائق بها . . .

بالتدريج فى هذه العملية وهو ما يشير إليه البيضاوى بقوله"شيئاً فشيئاً والراغب بقوله:"انشاء الشئ حالاً فحالاً . . .) وفى المجتمع العربى القديم ؛ نهض بمهمة التربية فى الأعم الأغلب المربيات والأمهات والجدات والطبقة المعروفة من الأدباء والمؤدبين .

والطفل وهو يكتسب هذه الأهمية يستطيع أن يكتسب اللغة وآدابها كحق طبيعي وهبه الرحمن تعالى:الرحمن علم القرآن ، خلق الأنسان ، علمه البيان الآيات(١ -٤) سورة الرحمن ، وألزمه التعليم والادراك والتذكر والتدبر قال عز وجل :

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم﴾ الآيات ١ – ٥ سورة العلق

وقد فطن الأوائل من علماء العربية وفقهاء الأسلام الى أهمية العناية بالأبناء والحث على تأديبهم وتعليمهم وارشادهم للأخذ بأسباب التعليم والافادة من مطالعة الكتب التى تخاطب القلب وتنمى العقل ، ويقول الامام الغزالى(-١١١١ م) أيها الولد : كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب . . . أيها الولد اذا قرأت العلم وطالعته ، ينبغى أن يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك [(١)] . **وفى هذا قال ابن المقفع (وللعقول سجيات وغرائز تقيل الأدب، وبالأدب تنمو القلوب وتزكو وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى بناء العقل . . بالأدب تعمر القلوب وبالعلم تستحكم الأحلام** [(٢)] وليس ذلك بغريب ؛ فدروس الآداب فى سائر الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية(بما تضمنته من شعر ونثر كان لها تقديرها البالغ فى المناهج التعليمية ، وكانت دروس هذه الأطفال تبدأ مع التلميذ فى المرحلة التعليمية **الأولى بفقرات بسيطة ، ثم يواصل دراستها فى مرحلته المتقدمة بنصوصها الكاملة**[(٣)] وإستقراء معظم البرديات المصرية القديمة التى تتضمن الحياة التربوية والتعليمية فى مصر الفرعونية يدلنا على دقة وذوق ووعى بالغ عند اختيار المصرى القديم للنصوص الأدبية ، فهى تبتعد عن الغموض، والتعقيد ، والتكرار فى غير موضعه، والتكريس والنصح المباشر كما كانت المدرسة التربوية المصرية القديمة تشجع فى الطفل الجانب الابداعى وتعد الناشئ(بالاشتراك فى الهيئة الحاكمة ، وبخير أسمى وخلود يذكر لمن يستطيع أن يؤلف كتاباً يطالعه الناس يلتمسون فيه سحره سحر بيانه وحكمته)[(٤)].

بعد محاولتنا ايضاح طبيعة العلاقة بين التربية والأدب نستعرض فيما يلى المفهوم

---

(١) أيها الولد المحب للامام الغزاى ، تحقيق عبد الله أبو زينه ، ص ٣٢ – ٨٦ ، ط دار الشروق القاهرة ١٩٨٣ م .

(٢) أثار ابن المقفع ، عبد المقفع ، ص ٣١٨ – ٣٣٠ نشر دار مكتبة الحياة ببيروت د . ت .

(٣) التربية والتعليم فى مصر القديمة ، د . عبد العزيز صالح ، ص ٢٣٢ ، الدار المصرية للتاليف والنشر ١٩٦٦ م .

(٤) المراجع السابق ٣٦٩ .

اللغوى والاصطلاحى للطفولة باعتبارها الشريحة الإجتماعية محور البحث الأدبى فى موضوع الكتاب . فالطفولة مرحلة عمرية من عمر الكائن البشرى تتسم بأطول وأدق مرحلة طفولة بين سائر المخلوقات . قال الله تعالى فى القرآن الكريم فى شأن معجزة خلق الانسان﴿**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**﴾ الاية ٢ سورة الانسان.

وفى شأن كمال الخلق:﴿**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**﴾ الآية ٤ سورة التين ﴿**الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى**﴾ الآيتان ٢ ، ٣ سورة الأعلى ، وعلمه سبحانه البيان:﴿الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان، علمه البيان﴾ الآيات (١ -٤)سورة الرحمن . وميزه عز وجل بالحواس :﴿**ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين**﴾ الآيات ٨:١٠ سورة البلد . تدلنا الآيات البينات السابقات عن معجزة خلق الانسان الذى كلفه الله عز وجل بحمل الأمانة والنهوض بتبعاتها الثقال العظام ، وقد زوده - سبحانه - بالعقل والسمع والبصر والفؤاد ، وسائر الحواس التى تؤهله للإدراك والمعرفة ، ومنذ أن قال سقراط (٤٦٩ ق . م) كلمته المشهورة :أعرف نفسك ومحاولات الباحثين لم تنقطع بحثاً عن حقيقة الانسان فى جانبيه المادى والروحى . . فقد شهد القرن الحالى ثورة معرفية شملت كل جوانب الحياة . ثورة حققت للانسان فرصاً أفضل للعيش والسيادة على الأرض كخليفة لله عليها . وبعد اشباع مادى لانسان الحضارة المادية الحاضرة وباثارها الطاحنة رأيناه يتوجه ضمن توجهاته المتعددة الى الطفولة ليعيد تشكيلها باعتبار الطفولة بداية الحياة ، ولقد ساعده فى ذلك ماقدمته الدراسات البيولوجية والنفسية من براهين على أن الطفل هو أبُ الرجل ، وأن الأمة كالفرد .

ومرحلة الطفولة : هى فترة الحياة التى تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد ، وهى تختلف من ثقافة الى أخرى ، فقد تنتهى عند البلوغ ، او عند الزواج ، أو يصطلح على سن محددة لها .

الطفل لغة :

وردت لفظة الطفل فى القرآن الكريم أربع مرات : اثنتان منها تشيران الى المرحلة المبكرة قال تعالى: **﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً﴾** الآية ٦٧ سورة غافر . **﴿ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾** الآية ٥ سورة الحج ، وواحدة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل ، قال عز من قائل :**﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾**الآية ٣١ سورة النور . والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخرة : **﴿واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾**الآية ٥٩ من سورة النور . وفى لسان العرب لابن منظور تفصيل للأصول اللغوية للفظة طفل فيذكر : قال الزجاج :" . . طفلاً هنا فى موضع أطفال يدل على ذلك ذكر الجماعة وكأن معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً . . والطفل والطفلة : الصغيران والطفل الصغير من كل شئ من الطفل بالفتح الرخص الناعم ، والجمع طفال وطفول" (١) والطفل الصغير من كل شئ اذا بين : الطفل والطفالة والطفولة والجمع اطفال(٢) والطفل لغة فى المصباح المنير بمعنى الولد الصغير من الانسان والدواب ، ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع . . ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لايقال له بعد ذلك طفل .، بل صبى وحزور ويافع ومراهق وبالغ ، وفى التهذيب يقال له: طفل الى ان يحتلم (٣) وفى مختار الصحاح الطفل بمعنى: المولود وولد كل وحشية أيضاً والجمع اطفال ، وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً .. والطفل بفتحتين والطفيلى الذى يدحل وليمة لم يدع اليها(٤) .". وعلى شاكلة مثل هذا التوارد والتوافق والترادف وردت لفظة الطفل فى ثنايا أمهات كتب التراث الشعرى واللغوى بخاصة، والنتاج الفكرى بعامة ، وأن اختلف المسمى من طفل الى صبى أو من ولد الى غلام ، وقد أقسم الله عز وجل بالولد فى سورة البلد **﴿ووالد وما ولد﴾** الآية ٣ سورة البلد .

وفى اللسان الولد : هو الصبى يولد . . والصبى يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه الى أن يحتلم ، وفى مادة (صبا) ، والصبى: الغلام والجمع صبية وصبيان والمصدر

---

(١) لسان العرب لابن منظور ص ٢٦٨١ – ٢٦٨٢ ، طـ دار المعارف ، د. ت.
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٨٢ . .
(٣) مختار الصحاح ص ٤٠٥ .
(٤) اللسان ، مادة ولد ، ص ٢٦٨١ .

والصبا، والصبوة: جهلة الفتوة . . والصبا من الشوق يقال منه تصابى وصبا يصبوه وصبوا ، اى مال الى الجهل والفتوة والصبا ريح تستقبل البيت ، قيل لأنها تحن الى البيت وتدور مادة (ولد) فى سياق القرآن الكريم حول معان وموضوعات عديدة لكننا نلحظ اقتران مادة (ولد) فى المعنى القرآنى بأمرين: أولهما : المال باعتبار أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما أيضاً الثروة فى جانبيها المادى والبشرى ، والأمرى الثانى: التاكيد على رفض أن يكون للرحمن ولد، قال الله عز وجل **﴿قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين﴾** الاية ٨١ سورة الزخرف ؛ مما يدل على أعطاء البنوة – تعالى الله عنها علوا كبيراً – مكانة سامية **﴿ومايبنغى للرحمن أن يتخذ ولداً﴾** الاية(٩٢) سورة مريم ، وتعنى لفظة الصغار : مصدر الصغير فى القدر ، لأن الصغار لغة فى اللسان : الصغار بالفتح الذل والضيم وكذلك الصغر بالضم والمصدر الصغر بالتحريك . . والصغر ضد الكبر . . ويقال لصبى من صبيان العرب اذا نهى عن اللعب : أنا من الصغرة ، اى من الصغار ، وأرض مصغرة نبتها صغير لم تطل ، والتصغير للإسم والنعت يكن شفقة وتحقيراً ويكون تخصيصاً[١] وقد قال الله تعالى فى مناسبة الدعاء للوالدين بالرحمة جزاء تربية الولد صغيراً: **﴿ووصينا الانسان بوالديه إحساناً﴾** الاية ٨ سورة العنكبوت . أما الغلام لغة فى المصباح المنير: فهو الابن الصغير، وجمع القلة غلمة بالكسر ، وجمع الكثرة غلمان يطلق الغلام على الرجل مجازاً ..

والولد: بفتحتين كل ما ولده شئ ويطلق على الذكر والأنثى والمجموع . . ويقال للصغير مولود ويطلق على الذكر والمثنى والمجموع . ويقال للصغير مولود لقرب عهده من الولادة ولا يقال ذلك للكبير لبعد عهده عنها[٢] . وقد ربطت العرب قديماً بين صغار الإبل (دردق) وصغار الانسان ، وقد دعى الأعشى إلى وليمة فقال شعراً فى آل المحلق:

نفى الذم عن آل المحلق جفنه ... كجابية الشيخ العراقى تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم ... مع القوم ولدان من النسل (دردق)

وتدور مادة (بنى) فى اللسان بين معانى البنوة ، قال الزجاج، (. . ابن كان فى الأصل بنوا أو بنوة ، وجمع الابن أبناء، وجمع البنت بنات والبنوة مصدر الابن يقال: ابن بين

(١) اللسان ، نفسه .
(٢) المصباح المنير ، ص ٥٧١ .

البنوة ، وفى التنزيل الحكيم: من سورة هود(هؤلاء بناتى هن أطهرلكم) وقال لبيد فى معنى الشرف:

وقال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

اذا بلغ الفطام لناصبى تخر له الجبابر ساجدينا (١)

فالصبى هو المولود حتى البلوغ والغلام : الصبى من حين يولد الى أن يشب (٢)

الأدب والطفل :

كان الأدب – ومايزال – هو الذى يصور حقائق النفس البشرية بأسلوب تعبيرى جميل ، فالأدب سجل للأفكار وعرض للمشاعر ، وبواسطة الفنون الأدبية يكشف الانسان عن خلجات النفس الانسانية بكل أمالها وآلامها ، كما تردد مفهوم الأدب بين الأجيال ليعبر كذلك عن الخبرات والمعارف الأداب الحسنة ، التى يلقنها الآباء للأبناء ليواجهوا الحياة ويسلكوا فيها سلوكاً محموداً، وهى نظرة أخلاقية تعنى المنفعة والمتعة وتحمل كثيراً من معانى الحياة التى تنتظمها أحد وظائف الفن والابداع جميعاً ، فالنتاج العقلى المدون فى كتب هو من المعانى الشائعة للأدب فى العصر القديم ، أى من زمن الجمع والتدوين(القرون الهجرية الثلاث الأولى) أما المعنى الخاص للأدب قديماً فيدل على الكلام الجيد الذى يحدث عند تلقينه لذة فنية الى جانب المعنى الخلقى . وفى ذلك كتبت التصانيف وظهرت التآليف ونظمت الأشعار الدالة حول تلك المفاهيم التى تدور حول معانى الأدب ، ويقول الشاعر المخضرم سهم بن حنظلة الغنوى:

لايمنع الناس منى ماأردت ولا أعطيهموا ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى أنه يهذب النفس بنتاجه ويخاطب الوجدان بروائعه ، والأدب أيضاً(ومعه معظم المعارف الانسانية الكبرى التى تمس الشعور والواجدان : تتمرد على المادة والتجسيم . . تأبى أن يكون لها ، تعريف جامع ومانع ،وأن الوسيلة الى معرفتها هى الحس والشعور وليس العقل والمنطق والتقنين) (٣) فالأدب – بمفهومه الفنى الحديث والمعاصر – يختلف عن

---

(١) اللسان ، لابن منظور ، مادة بنى ، ص ٣٦٢ – ٣٦٤ .

(٢) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ص ٥٤ – طـ القاهرة د . ت .

(٣) تذوق الأدب طرقه ووسائله ، د . محمود ذهنى ، ص ١٦ – ٢٢ طـ الانجلو المصرية .

مفاهيم عديدة التصقت به عبر تاريخ الأدب العربى ، لغة واصطلاحاً مثل معانى التأديب ، والأدب ، والمأدبة ، وتهذيب الخصال ، واصلاح السلوك واكتساب العادات الحميدة وهو فى النهاية مجال تعبيرى مكتوب له فنونه النثرية والشعرية ... مجال رحب محبب الى النفوس، ويستأثر بالقلوب ويستهدف تنمية الوعى والشعور والأحاسيس ، وهو مع ذلك كله علم من العلوم الرئيسية التى لاغنى عنها فى كل أمة فى أعز ماالديها اللغة وآدابها ومايدور حولها من تأصيل وتحديث أو توجه .

ومن المعلوم أن الفروق ظاهرة بين لفظة الأدب وتطور معانيها – كما المحنا سابقاً كما أن معنى كلمة الأدب يختلف من فرد الى آخر اختلافات بعيدة ، اذ يختلف الأدب فى مفهومه عند الفرد الواحد تبعاً لاختلاف تطوره الزمنى والعقلى ، كذلك يثار الجدل الفكرى فى كل مجتمع حول الأدب ووظفته ومواينشأ عن ذلك من توليد لمذاهب او نظريات أو أنواع أدبية تعبر عن فلسفة الأدب ومفهومه فى فترة ما وفى أدب أو آداب مختلفة ، ومن ثم تتطور أو تتغير المذاهب والنظريات حول الأدب ويبقى مفهوم الأدب فى الوجدان الفردى الجماعى من خلال انعكاسات النتاج الابداعى المكتوب ، وغاية ما يمكن أن نقوله أن الأدب فوق كونه أحداهم الفنون التعبيرية الجميلة باللغة ، وهو علم له أصوله وقواعده ومذاهبه وغاياته ، فلايوجد الأدب بدون الاستعمال اللغوى باعتبار اللغة أداة ضرورية لنقل الأفكار والمشاعر ويتطلب فى الأدب تقعيد هذه الوسيلة الضرورية وتنظيمها وتطويعها خلال بناء مبدع النص الأدبى ، ويحسم المعنى الدلالى لألفاظ اللغة فى النص الأدبى المقاصد التى يثيرها الأدب عند القارئ ، فالقارئ يستقبل المفهوم العام للأدب ثمرة(جاهزة) للتمثل والهضم(عناصرها اللغة ، وقواعدها الاطار الشكلى ، والبيان الى آخر الأطر البلاغية والجمالية) . ومهما يكن من شئ فان الأدب كفن ابداعى خلاق ينهض بالأدوار الايجابية من خلال التناول الأدبى لقيم الحق والخير والجمال .

وقد أحسن الرسول الكريم ﷺ بأهمية الأدب وعمق تأثيره فى الحياة والأحياء فأقام للشعر منبراً فى المسجد ،كما قال عن شاعر الدعوة الاسلامية حسان بن ثابت: انه ينطق بروح القدس،كما قال أيضاً :

(ان من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحراً) وفى الحديث النبوى الشريف ما يؤكد الاهتمام بالأدب بعامة والشعر بخاصة قال رسول الله (ﷺ) .إن من الشعر لحكمة ، فاذا لبس عليكم شئ من القرآن فالتمسوه من الشعر فانه عربي[1] ورأى العلامة عبد الرحمن بن خلدون أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف [2] بحيث يشمل مفهوم الأدب العلوم الدينية وغير الدينية ، فالأدب يجمع عنده:"اللغة والنحو والبيان والأدب . . وثمرته الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، ثم أنهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف . إذاً فالغاية من وراء تتبع مفهوم الأدب فى تراثنا العربى وفى معانيه الحاضرة هو التأكيد على وجود علاقة وثيقة بين الادب والانسان أينما وجد وحيثما ارتحل ، والأدب لازم الانسان منذ أدرك وأحس وابدع فكانت فنون الأدب متعته الوجدانية ومانزال .

والحضارة الاسلامية توجه الحس البشرى للجمال توجيهات تتضاءل أمامها مقاصد النظريات المتغيرة بزوال أصحابها ؛ لأن شمول النظرة أبرز مايميز الحضارة الاسلامية فالفن الصحيح الخالد هو الذى يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق فى هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود[3].

ومما لاشك فيه أن هذا يدلنا على مدى ارتباط الأدب بالرؤية الحضارية السائدة أو المتغيرة فى المجتمع وهو كذلك تصوير كامل للعلاقة الترابطية بين الانسان والكون ، هى رؤية وجدانية عميقة تتجاوز الواقع الخارجى الى انعكاسات داخلية تترجمها السلوكيات والقيم والأخلاق والخبرة بمواقف الحياة ، والأدب أو الفن برؤيته الشاملة فى توجيه الحس البشرى يطمع الى (تحويل الواقع الخارجى الى وجدانية باطنية لكى تتحول تلك الحالة الواجدانية بدورها الى سلوك خارجى)[4] ومن المعلوم أن السلوكيات ترتبط بمعطيات التنشئة بعامة وأساليب النشأة والتكوين عند الطفل بخاصة ، ومن ثم يتأثر الأدب الوجدانى بسائر أساليب التنشئة الاجتماعية ، إذ يتأثر بالوجود الاجتماعى ويؤثر فيه بدوره ، ويعلل الأستاذ أحمد أمين فى كتابه :(ضحى الاسلام) صدق النظرة الشمولية فى الحضارة الاسلامية لتوجيه الحس البشرى بالتركيز على أصول التنشئة وفى الأخذ بأسبابها فيذكر :

---

(١) مدخل الى الأدب الاسلامى ، د . نجيب الكيلانى ، ٤١ ط قطر ١٩٨٧م .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، دار الشعب ، ص ٥١٤ – ٥٢٢ .
(٣) منهج الفن الاسلامى ، محمد قطب ، ص ٦ ، دار الشروق .
(٤) الرؤية الواحدة ، مقالة للدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام القاهرة ، عدد ١/ ١٩٨١ .

(. . يقول النبى ﷺ أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت فى بنى بن بكر).
لقد كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان فى النطق ، واحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما فى النفس ، فاذا امتازت قريش بالفصاحة ، فقد امتازت بنو سعد بسلامة اللغة، فجمع النبى ﷺ الأمرين(١) ولأهمية الأدب نشره وشعره فى تنشئة اطفال المسلمين غداة الفتح الاسلامى بعث عمر بن الخطاب ؓ بكتبه الى ساكنى الأمصار يقول :(أما بعد . . فعلموا أولادكم السباحة والفروسية وروهم ماسار من المثل وما حسن من الشعر . .)(٢) وكان (المؤدبون) لدى الخلفاء والأمراء من ادباء وعلماء يهذبون أبناء الخلفاء والقادة ويقومون بقدر هام من الأدب الوجدانى فكان يشمل تأديبهم بمعناه التهذيبى المثل والحكمة والشعر وأيام العرب وأخبارهم ، ويعد هذا الاهتمام المبكر بأدبيات الطفل خطوة واعية فى بناء العقل وترقية وجدانه من زمن بعيد . إن اتساع مخيلة الطفل العربى وتنمية معارفه والارتقاء بمداركه بتنمية الحس الجمالى عنده هو جماع مايستهدفه الأدب من بناء الانسان . .. أيضاً هناك تهيأة الحواس للتذوق والتخيل وبث مثيرات الانفعال الايجابى بالأدب ومن ثم يتحقق السرور والمتعة والمنفعة . إن أدب الطفل فى التراث العربى – له وجوده ودلالاته – فقد فطن علماء اللغة وادابها – من المؤدبين – لأهميته ، برغم عدم الاصطلاح "أو اطلاق التسمية" أدب الطفلٌ كنوع ادبى مستقبل له قواعده ومناهجه بين أمهات كتب الأدب والنقد.

ومما لاجدال فيه أن نتاج ادب الأطفال الموروث فى اطار الأدب العام يشكل الارهاصات الأولى لتتبع نشأة أصوله التراثية وبالتالى امكانية تأصيل مثل ذلك النوع الأدبى فى الأدب العربى وهو فى ضوء ماقدمنا أنفاً جنس أدبى مركب يجمع بين العقل والوجدان له جذوره الأدبية المتفرقة والمتشعبة فى سائر انتاج الحضارة الاسلامية ، على عكس التصورات السائدة بين بعض كتاب الطفل من تغليبهم للكتابة المعرفية والثقافية والتاريخية على الجوانب الابداعية – والأخيرة – هى فيما نطمح اليه ، المهمة الأولى فى ترسخ أدبيات الطفل، إن أطفالنا بحاجة الى الأدب كعلم فى مناهجهم ومناشطهم كى يرقى بوجداناتهم

---

(١) ضحى الاسلام ، أحمد أمين ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ .
(٢) البيان التبين ، للجاحظ ، ص ٩٢ .

قدر اشباع حاجاتهم التعليمية والصحية والغذائية ، فهم صفحاتنا البيضاء التى نستطيع الكتابة فوقها عن وعى ومعرفة وخبرة جمالية ، على نحو ماصنع أجدادنا الأوائل مع أطفالهم حتى صاروا من بعد القادة والعلماء والأدباء الذين اضاءوا الى القرن العاشر الميلادى – الرابع الهجرى ظلامات أوربا .

إن الطفل أمانة ، وله علينا حقوق . . إنه".. أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل مانقش وسائر الى كل مايمال اليه ..."(١) وهذا المخلوق البرئ عجينة طيعة ، تنتظر التشكيل السديد رعاية عقلية تسير فى نسق واحد مع الرعاية الوجدانية داخل المدرسة وخارجها ، يقول الشاعر العربى القديم فى ذلك :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها – كهلا – عليه شديد

وليس من شك فى ان الأدب ، وبخاصة الجانب اللغوى منه ، والذى ينمو مع الطفل تبعاً لتطور مراحل الطفولة المتدرجة يمثل القدرة المكتسبة ، فاللغة باعتبارها الوعاء الحضارى للمعانى وسلوكيات التفاهم والاتصال ؛ ايضاً تدخل فى اطار وظيفة الأدب ، بل هى احدى وظائف أدب الطفل؛ أى تنمية المحصول اللغوى قراءة وتحدثاً وكتابة .

ونحن نستقرئ الأصول التراثية والتغيرات الحضارية المعاصرة سنجد أن التراث العربى حمل الينا عبر تاريخه الادبى الطويل الأصالة ، والتطور فى (الأنواع) الأدبية: النثر وأبوابه، الشعر وفنونه ، وفى (الغايات) الأدبية ، والتى اصطلح على تسميتها من بعد بالوظيفة فى الأدب والفن(٢) . فللشعر فنونه ، وللنثر أبوابه، وللأدب(شعره ونثره) غاياته ومقاصده ومراتبه كذلك، وفى ضوء ذلك يتسم الأدب بامكانية التغير والتجدد فى اطار المتغيرات الحضارية ثمرة لاهتمام العلوم المعاصرة بالانسان.

يقول فى ذلك الشأن ابن قتيبة : (ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن

---

(١) تاديب الناشئين بادب الدنيا والدين ، لأبن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق وتعليق ، محمد ابراهيم سليم ، المقدمة ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، د . ت .

(٢) الوظيفة Function اتجاه للربط بين الاثر الفنى ووظيفته جمالية كانت أم اخلاقية ونتيجة هذا الاتجاه أن اية صيغة أو محسنات لفظية لاتخدم وظيفة الأثر الفنى خدمة مباشرة ، نعتبر زائدة على الحاجة بل طفيلية : معجم مصطلحات الأدب ، د. مجدى وهبه ، ص ١٨٤ ، ط بيروت ١٩٧٤ م .

ولاخص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره ، كل شريف (خارجى) فى أوله)[1] ولا يعنى أن التجديد فى الأغراض الأدبية أو استحداث جنس ادبى ما ، الانفلات كلية عن الاصول التراثية وانما تجئ هذه الاغراض أو شلك الانواع مواكبة للتغير الحضارى الايجابى الذى يستلهمه شعورنا الجمعى ولذوق العصر الذى نعيشه ، لأن هذا كله رهين بالمحافظة على الجذور التراثية الأصلية فى أدبنا .

ومما لاشك فيه أن للشعر العربى أغراضه منها القديم الأصيل ومنها الحديث المتجدد ومن ناقلة القول سرد الأغراض القديمة فى الشعر من مثل : الحكمة ، المديح ، الفخر الرثاء ، العتاب ، الهجاء وغيرها . وبعد اتساع رقعة الحضارة الاسلامية والاحتكاك بالثقافات الاجنبية ظهرت مقاصد جديدة ، وأغراض متجددة كوصف المخترعات وظواهر الطبيعة مع الأحياء الى أخر الأغراض الشعرية ، أو الأنواع الأدبية الجديدة فى اطار التفكير الحضارى متجددة أيضاً على سبيل المثال لم يعرف أدبنا العربى الى القرن الرابع الهجرى - (فن الموشحات)، وفى اطار تجديد النثر والشعر بدأت تخبو عدة انواع مثل المقامات ، فن الموشحات والرسائل الديوانية ، كما خفتت أضواء وفنون "القوما"، والكان كان "والدوبيت" وفى المقابل استحدثت عدة فنون فى البيئة العربية ، فظهرت الأنواع النثرية والشعريةمثل الرواية بمعناها الفنى أو الغربى الحديث كذلك فن القصة القصيرة فى النثر، وفى الشعر الفينا المسرحية الشعرية تفتح بابا جديداً فى الأدب العربى بعامة، وفى المسرح الشعرى بخاصة ، وكما فطن الذوق العربى الى أهمية التجديد فى الاجناس الأدبية وهو فى لحظات التجديد الحضارية - كان يصدر - عن جذور تراثية تستلهم الشكل المعمارى الموروث مع تطويع الأنواع المتجددة لمعطيات الحضارة المعاصرة فى الشكل والمضمون ؛ ومنها (أدب الطفولة) .

لاجرم اذا - ان قلنا - أن أدب الأطفال كجنس أدبى متجدد نشأ ليخاطبَ عقلية و"ادراك" شريحة عمرية لها حجمها العددى الهائل فى صفوف أى مجتمع ، فهو أدب مرحلة

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبه ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، جـ ١ ص ٦٣ ، طـ دار المعارف ١٩٨٢ (والخارجى · الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم المحقق - المرجع السابق) .

متدرجة من حياة الكائن البشرى لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها واساليب تثقيفها فى ضوء مفهوم التربية المتكاملة التى تستعين بمجالى الشعر والنثر

غير أن الشئ المهم فيما يتصل بهذا النوع الادبى انه ينشأ كما سبق وأن ألمحنا ، فى اطار تغير حضارى من ناحية واهتمام بكل مايتعلق بالانسان(١) من ناحية أخرى وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن أى نوع أدبى يظهر زمن الحروب يسمى"أدب الجهاد" أو"أدب المقاومة" فالاعمال الأدبية أو الفنية التى تتجاوز فى أغراضها وتوجهاتها"الغرض التقليدى"كالرثاء أو التشبيب فى الشعر الى آفاق انسانية محورها الانسان ، تحمل الأبعاد الانسانية – هى أعمال تقترن بتعدد أو تخصص الوظيفة الأدبية ، فادب الرحلات أو أدب الخيال العلمى أو أدب الاطفال هى : الوان أدبية – تنزع بدورها للتعبير عن الانسان واشباع حاجاته فى اطار عمره وعصره

ودفعاً لتهمة الاقلال من شأن أدب الأطفال باعتباره نظماً شعرياً أو نثراً خيالياً فيمكننا القول بان"المتعة" و"الفائدة" من الطبيعة التعددية لهذا اللون الأدبى كفيلة لدفع التهمة وردها الى أصحابها ، فأدب الطفل هو أدب موروث كما هو أدب الحاضر وأدب المستقبل لأنه أدب مرحلة طويلة من عمر الانسان وعلى أية حال، فان الابداع المؤسس على خلق فنى، والذى يعتمد بنيانه اللغوى على ألفاظ سهلة ، مسيرة ، فصيحة غير حوشية تتفق والقاموس اللغوى للطفل بالاضافة الى خيال شفاف غير مركب ، ومضمون هادف متنوع كذلك، مع توفر القصر المقصود للنص الأدبى الموجه للطفل – كل هذه وتلك – عناصر دالة على اقترابنا من تحديد مفهوم أدب الطفل .

وتبقى مسلمة أساسية مؤداها توظيف العناصر السابقة بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجهاتها"لعقلية الطفل"و"ادراكه" كى يفهم الطفل النص الأدبى؛ويحسه ويتذوقه ومن ثم يكشف بمخيلته آفاقه ونتائجه ، ونزعم فى ضوء ذلك أن أدب الطفل لايختلف عن ادب الكبار الا فى المستوى اللغوى(١) للنص على عكس مايتضمنه عند الكبار من خيال تركيبى معقد ،

(١) تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الطبيعة الانسانية ، فتعكس ، قيم الانسان وتخدم مصالحه وتفسر مظاهر الحياة من حول الانسان، ويبحث ادراكاته وابتكاراته ومواهبه ومعتقداته جميعاً .

أو ألفاظ جزلة أو معان تستغلق على عقلية الطفل وادراكه ، ومن الخطأ البين القول بأن مضامين ادب الأطفال(منفصلة عن أدب الكبار ، أم انها نشأت منعزلة عن التيار الأدبى العام ، أو يظن انها تقوم بمقاييس تختلف عن أدب الكبار[1] . . فقد يختلف ادب الصغار عن أدب الكبار فى تلك الأمور التى لامفرمنها من ان تختلف فيها "العقليتان" و "الادركان" ومن ثم فنتاج الذهن من أدب الأطفال يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد)[2] .

وفى التراث الشعرى نجد(.فيضاً من المقاطع التى كانت تغنى للأطفال عند تلعيبهم أو تنويهم،ومن بين هذا التراث ماهو أغانى مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم وأغانى ملاعبة يؤلفها الكبار للأطفال اثناء اللعب وقد أطلق مصطلح أغانى ترقيص الأطفال على هذا الموروث الشعرى ويمكن العثور بين ثنايا الأدب العربى القديم على بعض الأعمال الأدبية التى يمكن ان تتوافق مع قدرات الأطفال رغم انها فى الأساس غير موجهة اليهم)[3]

وفى خاتمة هذا الفصل نستطيع – مما تقدم– أن نصل الى مفهوم لأدب الطفل تمييزاً لهذا النوع الأدبى من النتاج الفكرى الذى يكتب حول الطفولة ، إنه الابداع الأدبى الموجه(للطفولة بمراحلها) خاصة من سن ما قبل المدرسة الى نهاية الطفولة المتاخرة – وأشكال التعبيرية: المنظوم والمنثور من فن الأدب ويجب ألا يسبح خارج حدود دائرة الأدبى الى النتاج المعرفى العام .

ويمكننا تحديد أشكال التعبير الأدبية فى أدب الطفولة الموروث فى ضوء ماقدمناه – آنفاً– أنه يقع فى دائرتين : أولاهما: دائرة الشعر وتضم : الأمهودات والأغانى الموزونة (أغانى الترقيص) ، وأغانى اللعب والمناسبات والأناشيد والاراجيز الشعرية ، والمنظومات الشعرية القصيرة والمحفوظات التعليمية والألغاز الشعرية ، والقصة الشعرية على لسان

---

(١) الطفل قاموسه اللغوى الخاص به ويزداد حجم الألفاظ اللغوية بانتقاله من مرحلة تلو المرحلة داخل مرحلة الطفولة البيئة المحيطة واستعداد الطفل ذاته للنطق ، أما فهم الطفل للالفاظ (مقروءة ومسموعة فيقتضى معرفة ذلك نمو وتطور اللغة عند الطفل انظر.نشأة اللغة عن الانسان والطفل ، د . على عبد الواحد وافى ، فى فلسفة اللغة ، د . محمود فهمى زيدان ، ثلاث نظريات فى نمو الطفل ، د .هدى قناوى ، قائمة الكلمات الشائعة فى كتب الأطفال ، د . السيد العزازى ود. هدى براده ، وغيرهم . وقد تتبعت هذه المؤلفات اللغة نشأتها وتطورها ، وفى الاداب الاجنبية دارت أبحاث تشومسكى وجان بياجيه وغيرهما فى جوانب منها لمجال علاقة اللغة باللعب والتمثيل والحركة عند الطفل .

(٢) فى أدب الأطفال ، د. على الحديدى ، ص ٦٩ ، الانجلو المصرية د . ت .

(٣) انظر بحث د . عبد العزيز المقالح لمؤتمر الأدباء العرب طبع وزارة الاعلام بالجزائر ١٩٧٥ م ومنه أن أعلنت الجمعية الطبية الملكية بانجلترا أن العلماء وتوصلوا الى نتائج هامة تتعلق باستجابة الجنين للنداء الصوتى المنبعث من أم الجنين عبر أجهزة ذات تقنية عالية الحاسية ، والمثير للدهشة هو التوصل لرصد استجابة الجنين للنداءات المواقعة ، والمنغمة ، المبهجة ، الهير الدتريبون عدد ٣٠ /٣/ ١٩٨٨ م .

الحيوان أما الثانية : دائرة النثر وتضم : الحكايات القصصية المتنوعة ، الحكايات على ألسنة الحيوان والطير ، الأمثال والصايا ، (الأدب الحكيم) والأحاجى اللغوية . ان محاولة بعض الكتاب المحدثين اقحام النتاج المعرفى(تاريخى أو ثقافى أو علمى) الى أدبيات الطفل يعد هدماً للمفهوم اللغوى والاصطلاحى لأدب الطفل ، واولى باصحاب هذا النتاج الفكرى– وهو غزير متنوع – أن يدرجوه تحت مظلة تخصصات أخرى مثل ثقافة الطفل بمعناها الواسع أو فروع العلم الانسانية والتطبيقية وهى جد كثيرة ومتنوعة

إن أدب الطفولة سيظل أدباً خالصاً بمادته وموضوعاته ومقاصده ، وإن استعانت به الوسائل أو المناشط فى تربية الطفل أو تثقيفه ورعايته .

الباب الثانى

الفنون النثرية التراثية والطفل

- الحكايات القصصية .
- الأمثال الحكيمة والوصايا .
- الألغاز والأحاجى .

وليس من شك أن صورة أدب الطفل فى تراثنا فى مجملها – صورة مركبة تتوزع بين الادبين الرسمي والشعبى فبعض أشكال التعبير الموجهة للطفل من حكايات الأدب الشعبى توارثتها ا الامة جيلا بعد جيل على السنة والامهات والربيات والرواة ، شأنها شأن الأغانى الشعبية للطفل فى مناسباته المختلفة .

لقد عرف الأدب الرسمي المدون نظام المقطوعات الشعرية وصبها فى قالب الرجز قبل القصيدة المطولة ، وقد دون الادب الرسمي العديد من صفحات كتبه عبر تاريخ الادب العربى، أغانى المهد وأغانى الترقيص ، والمقطوعات المجزوءة ، والاشعار البسيطة وغيرها من الأدب المكتوب . أما الذى ينقصنا فهو رصده وجمعه من بين ثنايا كتب التراث . أما استمرار وقوفنا عند منطقة الحذر والشك فى وجود مثل هذا اللون الادبى ، وبالتالى اهمالنا لتأصيله من أسباب تأخرنا فى متابعة تطور العلوم الانسانية المعاصرة ، والأدب بطبيعته يلازم الانسان طوال رحلته فى الحياة فى علاقة ترابطية .

ونخلص من هذا المدخل الى حقيقة هامة مؤداها ان أدب الطفل فى التراث العربى ، له جذوره ، ونتاجه النثرى والشعرى فى الادبين الرسمى والشعبى، وإن لم يحظ فى الماضى بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته وتثبيت دعائمة فوق خارطة الادب بالدرس والتأصيل . لقد أهتم الادب العربى اهتماما كبيرا بالطفل ، وكان للأدب الموجه للطفل دوره الذى لايقل أهمية عن الادب المكتوب عنه *،اذا كان للأدب الموجه للطفولة والناشئة فى جميع عصورالأدب العربى دوره الحيوى فى تكوين الشعور الوجدانى للطفل ، فإن تأصيل العلاقة المميزة بين الأدب والطفل تقوم على مدى قدرة الفنون الأدبية فى التأثير على الطفولة كوسيلة وغاية لذلك تناثرت أدبيات الطفل تناثراً فى العديد من أمهات كتب التراث لتحقق المفاهيم الوظيفية لهذا اللون الادبى ، فالحقائق التى تطالعنا فى الأدب العربى المدون هى وجود نتاج ادبى متنوع الاشكال والمضامين بين ثنايا كتب اللغة والادب والأخبار وغيرها ، ففى النثر وجدت القصص والحكايات وأحاديث السُمار والنوادر والامثال والالغاز والخرافات والأساطير ، وفى مجال

* الأدب المكتوب (عن) الطفل يشتمل على جانبين .أولهما: الدراسات والمؤلفات اللغوية والادبية والفنية(الجمالية) حول الطفولة وثانيهما ابداع الكبار الأدبى والفنى (عن) اطفالهم بخاصة والاطفال بعامة شريطة الاتوجه ابداعاتهم أساساً للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية، اما الأدب المكتوب(للطفل)–مجال بحث هذا الكتاب – فيشمل الانتاج الادبى(الشعرى والنثرى) والموجه أساساً للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية ، ويميل المؤلف الى عدم الصاق المؤلفات التربوية والتاريخية والعلمية الى الادب المكتوب للطفل)أو (عنه)وانما يكون تصنيف هذه المؤلفات بمجال ثقافة الطفل بمعناها الواسع .

الاشعار وجدت أشعار الترقيص ، والمنظومات التعليمية والتهذيبية ، والمقطوعات والاراجيز الخفيفه السهله ، وهذه الاشكال والفنون التعبيرية تستهدف فى بعض توجهاتها الاطفال والناشئة ، وقد كشف المدخل السابق عن مسلمة هامة فى تاريخنا الأدبى مؤداها أن أدب الطفولة كوجه مستحدث من وجوه الادب العربى لم يحظ بتقعيد تحت نوع ما من الأنواع الأدبيه ، لأن الأجناس الأدبية كانت تجئ عرضا فى كتب اللغة والأدب ، وقد عنى الروائد العلماء عناية فائقة بتسجيل وتدوين الأدب الرسمى - إبداعه ونقده - بينما تناثرت أدبيات الطفل فى بطون امهات الكتب دون ان يفرد لها المصنفون والنقاد ، الأجناس أو الأحكام الخاصة بها . وعدم التفات هؤلاء العلماء الى أدب الطفل فى نشأته وتطوره وفى أشكاله ومضامينه ، جعلنا نطلق على هذا اللون الأدبى - رغم تدوين أغلبه - نفس المفاهيم والاحكام القاصرة التى يطلقها البعض على الأدب الشعبى وليس معنى ذلك أننا نقلل من الأهمية البالغة للادب الشعبى فى حياة الأمة ، فلا يختلف أحد على أهمية وسريان تأثيرات الأدب الشعبى فى أدب الطفولة ، وعلى الأخص فى الفنون النثرية بنماذجها المتنوعة من مثل الحكايات القصصية والشعبية والخرافية والاساطير وقصص الحيوان وأزعم أن الجانب الشعرى فى أدبيات الطفولة يخرج عن دائرة مفاهيم وخصائص الأدب الشعبى ، وأعنى بالشعر هنا ، شعر الاطفال الذى يندرج تحت ادبنا الرسمى المكتوب أما الأغانى الشعبية المرروثة للاطفال وأغانى العابهم ومناسباتهم وعاداتم فهى من الأدب الشعبى . ويكاد يجزم المؤلف بأن عزوف الرواد والنقاد من علماء اللغة العربية عن تحديد المفاهيم أو الخصائص المميزة لأدب الطفل ، أو وصفه على الأقل كنوع أدبى له نتاجه الذى يخاطب الناشئة - يجئ هذا العزوف غير المقصود - نتيجة نظرة المجتمع العربى القديم تجاه الصغير ، فالصغير منذ القدم : الصغير من كل شئ حتى يشب عن الطوق ويكبر ، هذا من ناحية ، والعبقرية العربية التى شيدت دعائم الأدب الرسمى بفنونه ومضامينه وخصائصه وقواعده - غير عاجزة - بأى حال من الأحوال عن تقعيد القواعد ، ومن ثم التأصيل النقدى لهذا اللون الأدبى الذى يشكل وجدان اكثر من أربعين بالمائة من ثروة الأمة البشرية ، ومهما يكن من شئ فإن نظرة رجال النقد وعلماء اللغة والأدب للادب الشعبى كانت تسير فيما أعتقد فى

خط موازٍ لنظرتهم لأدب الطفل ، لأن هؤلاء الرواة والنقاد ورجال التدوين كانوا يرون أن النصوص * النثرية والشعرية الموجهة للاطفال والناشئة يقوم بها في الغالب الأمهات والجواري والمربيات أو المؤدبون في بيوت الخلفاء والامراء عن طريق التلقين والاستماع ومن ثم رأوها من الأدب الشعبي ، ويمكن بالتالي أن تنتقل هذه النصوص من جيل الى جيل .

وقد جعل هذا التصور الذي أشرنا اليه يدفع أحد الباحثين العرب القول بأن ترقيص الأطفال الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا انما هو أدب شعبي اصيل(١). وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن الأدب العربي- عبر عصوره المتتابعة – قد تنبه في إطار رعايته الطفولة لنقطة البداية في التكوين الأدبي للطفل ، وكانت قاعدة البداية الأولى التي انطلق منها تتشكل إرهاصاتها واصولها التراثية عند محور:الفنون النثرية الموجهة للطفل. وقداضطلع النثر بفنونه المتنوعة بمهمة التشكيل الوجداني والأخلاقي للناشئين عن طريق تلقينهم الحكايات القصصية بأنواعها ، والحكم والأمثال والمأثورات القولية والنوادر والألغاز وغيرها باعتبارها من الوسائل الفنية النثرية الموجهة للاطفال بهدف تربوي وأخلاقي وجمالي، وقد ظلت هذه الوسائل الفنية الادبية تحمل في مضامينها الأهداف الوظيفية لأدب الطفل من زمن العصر الجاهلي الى العصر الحاضر ، وان كنا لانستطيع تحديد تاريخ معين تم خلاله تسجيل أو تدوين أي كتب تجمع مادة هذا اللون الأدبي أو مايشير إلى نشأة النثر الأدبي الموجه أساسا للطفل في العصر الجاهلي أو قبل ذلك ، لصعوبة ذلك من ناحية أخرى، كما أن عملية الانتقال الثقافي عملية تغيير متطورة ويتم من خلالها نقل الثقافة من جيل الى آخر ، وهو ما يؤكد عليه العلماء الإنثروبولوجيا للأشارة الى التراث غير المكتوب الذي تعبر عنه القصص الشعبية والأغاني والحكم والأمثال الشعبية(٢) .

ومما شك فيه ان كتب التراث العربي حملت إلينا بين ثناياها ؛ متفرقات مما تم تدوينه من فنون نثرية متعلقة بأدب الطفل ، وكان لتلك الفنون الادبية وجودها في الجماعة وتأثيرها في الأمة . كما أشار القرآن الكريم إلى أساطير الاولين(٣) قال تعالى:﴿وقالوا اساطير

---

* من مثل . الحكايات القصصية (المسلية ، الخرافية ، والاسطورية والفكاهية والتعليمية والحكايات الشعبية والنوادر والامثال والحكم والالغاز ، والأمهودات والاناشيد والاغاني والاراجيز) وجميعها كانت تروى للأطفال بهدف التسلية والمتعة والمنفعة والتربية الوجدانية والتهذيبية .

(١) مفهوم الأدب الشعبي ، د . كامل مصطفى الشيبي ، ص . ١٠ ، دائرة الشئون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

(٢) قاموس علم الاجتماع ، د . عاطف غيب ، ص . ١٩٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

(٣) الاسطورة بمعناها اليوناني MYTH وبمعناها في العلوم الانسانيةLEGCOD عبارة عن :"مأثورة شعبية تقوم على الاحداث التاريخية المتصلة بشخص أو حادثة ما وهي المعتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها" السابق ص . ٢٧٠ .

الأولين أشار القرآن الكريم إلى أساطير الأولين ، قال تعالى : ﴿وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ الآيه ٥ سورة الفرقان .
وحكايات الأطفال بأنواعها لها جذورها فى الأدب العربى الموروث و(القصص الروائى الشفوى للأطفال يلعب دوره فى مخاطبة حواس الطفل وحفز مشاعره وخياله ونحن لانستبعد ما يقال من أن الوصيفات والمربيات كن يقصصن على الأطفال قصصا مبسطا . . وهذا القص يحتمل أن يكون هو نفسه ما ألفناه من حكايات الجدات والتى لاتزال متداولة فى بعض بيئاتنا ، وحكايات الجن والشياطين جوهرية فى تراث حكايات الجدات القديمة – بداية لخط قصصى بلغ قمته فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومن أبرز امثلته : رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى ، كما كانت قصص الحيوان التى بدأت شهرتها مع كليلة ودمنة التى ترجمها ابن المقفع وما صاحبها وتبعها من الملاحم الشعبية وقصص ألف ليلة وليلة ، وحى بن يقظان وغيرها – مصدراً هاماً للأدب القصصى للطفل)(١) .

وقد عرفت الامة العربية الأدب القصصى منذ حققت وجودها ، بالكلمة والخبر وتطورت الحكايات القصصية كشكل من أشكال التعبير النثرى تبعا لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة العربية .

وليس صحيحاً ما استقر فى أذهان البعض من أن العقلية العربية تنزع بفطرتها الى التجريد وتنأى بجانبها عن التجسيم فبرز مصطلح الحكاية فى الأدب القصص وتزحزح عن مجرد الاخبار بالواقع الى الايهام بحديث قديم مرت الدهور عليه أو واقعة فى مكان بعيد . ولا بأس من التوسل بالخيال لبلوغ التأثير المنشود . . كما برزت أيضا كلمة خرافة لتدل على الوقائع والاحداث غير المعقولة ثم اصبحت مرادفة لطائفة من حكايات الخوارق ، ويستعمل المثل أيضا للدلالة على نوع متميز من أنواع الحكايات والقصص هو الذى يدور حول البهائم والطير والذى تتخذ الكائنات صفات عاقلة مفكرة ومدبرة(٢) . والرؤية التى أشار اليها د. عبد الحميد يونس فى الفقرة السابقة تجمع فى طياتها التأكيد على وجود الفنون

(١) – الأدب والطفل ، د . محمود أحمد حمدون ، ص ٩٦٠. رسالة الخليج العدد ٢١ ، السعودية ١٩٨٧م .
(٢) الحكاية الشعبية ، د . عبد الحميد يونس ، ص ٨ – ٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م .

النثرية فى الادب العربى منذ القدم ، وقد تطورت هذه الاشكال التعبيرية التى الم اليها تطورا فى الشكل والمضمون ، مع بقاء الفكرة الأصلية فى أشكال التعبير برغم خضوعها للتغيير بالحذف والاضافة ، لأن العنصر الاصلى فى الحكاية يبقى واحدا وتتفرع عنه العناصر البنائية عند إعادة القص او الرواية .

ومن نافلة القول التأكيد على مدى شغف الاطفال بالحكايات بأنواعها فقد توارث أطفال الجاهلية حكايتهم الخاصة بهم ، وانتقلت اليهم من جيل الى جيل، غير ان الجانب الرسمى فى المجتمع لم يلق بالاً إلى هذا اللون من الفن القصصى ولم يقدره الكبار قدره ولم يلتفت اليه الرواة ، فظل محصورا بين جدران الخيام والمنازل والدور لايخرج الى المجتمع ليكون تعبيرا عن مراحل التفكير والعواطف والخيال والمعتقدات للإنسان بل تناقلته شفاه النساء والأطفال فى حدوده الضيقة المحدودة(١) ونخلص مما تقدم الى حقيقة مؤداها أن معظم الأنواع النثرية الموجهة للطفل فى الأدب العربى القديم ، دارت فى فلك الأدب الشعبى ، فاتسع تأثيرها بالتالى لتشمل سائر طوائف المجتمع ومستوياته وليس الاطفال وحدهم أو النساء فى حدودهن الضيقة المحدودة ، وليس لطائفة عمرية بذاتها Age- Set وقد ظلت مادة الحكايات – على تنوعها وتطورها بعيدة عن الأدب الرسمى المدون لعدة قرون ، فى الوقت الذى كانت تتناقل هذه المادة القصصية الجدات والامهات والمربيات والمؤدبون والمعلمون ، كما خضعت الاعمال التى قدر لها التدوين الى التعديل عن الأصل ، والتغيير غير مرة من جيل الى جيل .

إن عقل الطفل وأدراكه بحاجة الى مثل هذه الاجناس الادبية على تنوع مادتها وثراء خيالها وسحر تأثيرها وإختلاف اساليب تشكيلها الفنى(ومثل هذه الحكايات المتنوعة فى الأدب القصصى تغذى جوانب تفكير الأطفال وتقوى نواحى الخيال عندهم ووسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والمشاركة فى الخبرة ، وطريقا لتكوين العواطف السليمة ، والوطنية الصادقة للاطفال ، واسلوبا يقفون به على حقيقة العقيدة ويكتشفون مواطن الصواب والخطأ فى المجتمع ، ويتعرفون طرق الخير والشر فى الحياة)(٢) والطفل يشعر بالمتعة وهو

---

(١) فى أدب الأطفال ، د . على الحديدى ، ص . ١٩٠

(٢) السابق ، المقدمة .

General Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina

الوجداني الذى تتركه فى مخيلته من جانب آخر ومن هنا راح الرواة يقصون على الناشئين حكاياتهم القصصية ، والتي ازدادت تنوعا وخصوبة بتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة ، وفى ذلك يقول د . فؤاد حسنين يعد القصص من أهم الاجناس الادبية التى تعبر عن روح الامة وعقليتها وطبيعتها(فالامة منحت حظا موفورا من الخيال والقدرة على صياغة المادة المحيطة بها قصصا جميلا ، كما أنها تمتاز – كغيرها من عقليات الشعوب السامية– باعادة تأليف القصص القديمة التى تتوارثها من أقدم العصور واظهارها فى ثوب يكاد يكون جديدا)(١) .

وتعد أيام العرب في الجاهلية مصدرا خصبا صافيا من ينابيع الأدب ونوعا طريفا من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع والاحداث (وما روى فى اثنائها من نثر وشعر، وما تدسى خلالها من مأثورا الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام(٢). والفقرة الآنفة تتضمن الاشارة الى أصل قديم من أصول التراث العربى يتضمن عدة اشكال من التعبير الأدبى – نثره وشعره – فأيام العرب حملت البذور الأولى فى تربة الأدب القصصى عند العرب وقد تأثر أدباء العصر الجاهلى بالبدايات الاولى لمعالم هذا اللون النثرى القصصى فالاسلوب القصصى (اسلوب الحكاية) اتبعه الشعراء فى معرض الحديث عن ذكرياتهم لدرجة الاقتراب من السرد وبير الى عفوية الشعراء وبساطتهم فى التعبير (وفى اشعار الهزليين يتضح الاسلوب القصصى فى الشعر خاصة عند الشاعر الهزلى وقد برع الشعراء الهزليون فى تمثل قصص الحيوان وأصبح هذا الاسلوب شبه تقليد فنى عندهم)(٢).

والمتأمل فى تاريخيا الأدبى القديم يجد فى شئ من اليسرالطبيعة التعددية فى الأدب القصصى المدون منه ، والشعبى . والطفل وهو يتلقى هذا النتاج المتعدد أو شيئا منه فى مراحل طفوليه ، كانت النماذج القصصية المقدمة له عن طريق الأمهات والجدات والمربيات

---

(١) أيام العرب فى الجاهلية . محمد زحمد جاد المولى واخزيز ؛والمقدمة ط دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى شركاه . مصر د . ت . انظر المزيد من التفاصيل . تاريخ العرب القدامى للشيخ محمد فخر الدين ، بلوغ الارب فى أحوال العرب للألوسى ، أمثال العرب للمفضل الضبى ، جمهرة الامثال للعسكرى مجمع الامثال للميدانى وغيرهم .
(٢) الحماسة لابى تمام ، شرح التبريزى ، جـ ٢ – ١٨٥ .

القصصي المدون منه ، والشعبي ، والطفل وهو يتلقى هذا النتاج المتعدد أو شيئا منه في مراحل طفوليه ، كانت النماذج القصصية المقدمة له عن طريق الأمهات والجدات والمربيات أو الرواة القصاصون أو المؤدبون – يراعى في تقديمها عقليته وإدراكه ، وقد طرأ على هذه الطبيعة التعددية في الادب القصصي التجديد في الأطر والموضوعات وبذلك استقر في تاريخ الادب العربي عدة أنواع تندرج تحت الأدب القصصي العربي : ايام العرب في الجاهلية ، الحكايات القصصية المتنوعة ، الأمثال والحكم أو الوصايا ، الاساطير ، الالغاز والاحاجي ، وسنقف فيما يلي عند بعض هذه الأنواع القصصية وفقا لاستمرار فعاليتها وتأثيرها على الطفل ، وهو ما ستقدمه الصفحات التالية .

(الحكايات القصصية في الأدب العربي):

لاجدال أن فن الشعر هو ديوان العرب وأبرز ميراثهم الابداعي ، ومع ذلك فان التراث القصصي العربي من حكايات وأساطير يدفع الآراء القائلة بأن العرب أمه لا تملك الأساطير والحكايات القصصية الاصلية من وحي ابتكار العرب انفسهم وهذه الفرية التي يروج لها المستشرقون في مؤلفاتهم دفها التقليل من شأن العرب وتاريخهم الأدبي . ويرد أحد علماء الاستشراق على هؤلاء في حيدة وانصاف فيذكر :(وصل العرب بفن الحكايات الخاص بهم الى حد الاكتمال الفريد ثم هناك قيمة العبر الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم في الرواية صوراً جديدة كل الجدة سواء من خلال تلك الحكايات التي نشأت عندهم ، أو عن طريق تلك التي أخذوها من الشعوب الاخرى)[1] .

يقول الراغب الأصبهاني في كتاب : الذريعة في أحكام الشريعة في مستهل الباب الخامس والعشرين (الطفل في حالة صباه كالشمع تشكل بكل شكل يشكل به) وقد أحس العرب بضرورة اشباع احتياجات اطفالهم الوجدانية والعقلية في مراحل نموهم . فوضعوا لهم التأليف القصصية ، والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية وغيرها من الحكايات التي تدور حول التسلية والاقناع والتعليم والتهذيب وايجاد علاقات مميزة مع البيئة أو الطبيعة المحيطة بالطفل ، وكذلك قصص الحيوان تلعب دورها البارز في تاريخ الادب الموجه

---

(١) الحكاية الخرافية ، فريد شفن دير لايين ، ترجمة د . نبيلة ابراهيم ص ١٩٦ – ١٩٩ ، القاهرة ١٩٦٥ م .

الحس الجزئى إلى التجريد الكلى كما يدلنا على ذلك نتائج علم النفس الارتقائى ، فالطفل يولد معه الاستعداد الذاتى للاستجابة والاكتشاف ومن ثم يستوعب الشئ فى صفاته الشامله لأن مشاعره وتصوراته تزداد مع مراحل نموه وتمده بطاقة خيالية أروع من أى تفاصيل جزئية فى ضوء ذلك يمكن القول إن الطفل يتسجيب مباشرة للشئ الآخر أو الشئ المجهول الذى يجد فيه انعكاسا لذاته ولا غرو أن يكون عالم الحكاية الخصيب والمثير هو الأقرب الى عالم الطفل ، إذا الطفل صفحة بيضاء قابلة لما ينقش فوقها وهو فى حركة دائبة لاتهدأ الا بالانتقال من حركة الى حركة ومن خيال الى خيال أخر فى ترقب واستجابة للاستمتاع الخيالى والواجدانى فى الادب القصصى بعامة وعالم الحكاية بخاصة .

وكان للبيئة الطبيعية العربية أثرها الحاسم فى تربية الخيال لدى المبدع العربى والمتلقى كذلك ، فقد(عاش العرب فوق صحراء مبسوطة الرقعة مجلوة الافاق وفيرة الوحش والطير في جو صحيح الهواء وتحت سماء صافية الاديم ساطعة الكواكب ضاحية الشمس، سافرة البدر ، جلت لحسه مناظر الوجود ، وعوالم الشهود فكان لخياله من ذلك مادة لايغور ماءها، ولا ينضب معينها ، فهام بها فى كل واد وأفاض منها إلى كل مراد وكان له من لغته وفصاحة لسانة أقوى ساعد ، وأكبر معاضد [1]ويقف د .أحمد ضيف من أثر الخيال – فى تشكيل العقل والوجدان العربى موقفا تحليليا يرد به تهمة غلاة المستشرقين بضعف الخيال وهو عنصر رئيسى فى الابداع – عند الأمم السامية ، من ناحية ، ويؤكد وجود مزية الاستكشاف وحب الاستطلاع من ناحية أخرى فيذكر:(لقد تصور العرب فى جاهليتهم آلهة متعددة ونصبوا لها الأصنام قبل الاسلام ، وكانت لهم اساطير ، ولكنها لم تظهر فى شعرهم ظهرها عند الامم الاخرى كما تخيلوا لشعرائهم نفوسا أخرى من الجن توحى اليهم عبقريتهم وعدوهم أصحابا لكبار الشعراء وروو عنهم الشعر ، اما ان كانت الامم سامية ذات افكار هادئة غير قلقة ، راضية بصدق وصحة ما ترى ، فهذا صحيح فى جملته ، لأنهم أقنع الأمم فى حب الاستطلاع" وفى ضوء التعليل السابق(كانت القصص والأساطير فى المكان الأول من الحياة الادبية ، وأنها كانت الفن المفضل عند الغالبية العظمى فى الجاهلية[2] .

فالحكايات القصصية الخرافية والاساطير مادة ادبية ، كان لها وجودها فى تراثنا

(١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . أحمد ضيف ، ص ٥٨ – ٥٩ .
(٢) فى الرواية العربية ، فاروق خورشيد ، ص . ٥٤ .

القديم ، ويمكن ان تحتل مثل هذه الانواع الأدبية مكانا فى أدب الطفل المعاصر اذا دقق الكاتب والمؤدبون والمعلمون فى اختيار النصوص التى تناسب اعمار ومدارك الأطفال ، أو اعادة صياغة(معالجة) الحكايات الخرافية والاساطير لتحقق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية فى مجال أدب الاطفال ، وهذه المعالجة لن تفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوانات Fables أو الأسطورة Myth شيئا من مغزى أيهما أو روعة الخيال التصويرى فى سردهما .إذاً فالحكايات الخرافية أو الاسطورية على تنوعها قديمة(*) قدم الادب العربى، وقد وجدت قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان فى الحياة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام ، وقد تناثرت خيوط الحكايات القصصية وتعدد نسيجها على السنة الرواة مشافهة جيلا بعد جيل أو تم تدوينها فى بطون كتب اللغة والادب والاخبار وأيام العرب ، وكان الكتاب والمربون يهدفون من وراء قص الحكايات الى عدة مقاصد منها الغاية الوعظية، وجلب السرور والمتعة لدى الأطفال وحفز خيالهم ،والحكايات تستهدف فيما تستهدف الأدب التهذيبى للطفل ايضا والأدب التعليمى فى إطاره النثرى من خلال الحكمَه والمثل والقصص عن طريق الحكايات بأنواعها ، لأن الخيال الفنى فى مضمون القصص والحكايات والاساطير تصنعه من خلال الشخصيات والاحداث ، والفكرة أو الأفكار – تصنعه – شخصيات غير بشرية تحمل صفة الانسان وتعمل مثله ، وهذه الشخصيات غالباً ما تكون فى نصوص الحكايات العربية القديمة التى وصلتنا من الحيوان او النبات أو الجن أو الطير إلى جانب البشر .

ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الحكايات الخرافية احتلت مكانا هاما فى حياة المجتمعات العربية ، خاصة فى بيوت الخلفاء والأمراء وفى أماكن التسلية واللهو ، وامتدت آثار هذه الحكايات الموجهة لوجدان الطفل إلى العصور المتتابعة من أدبنا العربى القديم

---

* الحكاية الخرافية : قصة أحداث خيالية ، يقصد بها حقائق مفيدة فى شكل جذاب وينصب عليها مصطلح الخرافة الأخلاقية تبعا للقصص الأخلاقية المروية على لسان حيوان . من أمثال كليلة ودمنة ، انظر معجم الأدب ، د . مجدى وهبة ، صفحات ٢٦ .

* عرف العرب قصصا تتناول بالتفسير الملم بالبقايا الاسطورية ، الحياة والخلق ، فحكوا الحكايات عن نشأة العالم وعن آدم ونسله ومن نشأة اللغات . . وعرفوا قصص الشعوب وقصص الاماكن قصص الملوك والابطال وتطورت بعد الاسلام الى حكايات وأساطير موجهة ، وأشهر ماتم تدوينه كتب : (التيجان ومضاض مى والحارث ابن مضاض وقصة ذى القرنين فى الفترة التى سبقت ظهور الاسلام ، وايام العرب ووقائعهم ملاحمهم وأخبارهم(كتب اخبار ملوك اليمن) . انظر . فى الرواية العربية لفاروق خورشيد . طـ دار الشروق ١٩٧٥

وحتى عصرنا الحاضر . إن موضوع الأدب الوعظى أو الأدب الحكيم ، اشتمل فى أحد روافده : القصص العربى القديم فى فترات تاريخية سبقت ظهور الاسلام ، وقد عاشت هذه القصص العربية الخرافية فى وجدان المجتمع العربى وقد كانت الحكايات القصصية بخاصة حكايات الحيوان Fabels فى الادب العربى القديم ، إما شعبية تشرح ما سار بين العامة من أمثال وحكم ووصايا أو مقتبسات من عصور قديمة وتتصل بالعقائد والطقوس أى ذات طابع دينى يتصل بالعقائد الدينية ، باعتبار الدين يتسم بالفطرة الوجدانية والاقتناع العقلى ، وقد حظيت المكتبة بمجموعة مؤلفات هامة فى هذا المجال *

مما سبق يتضح لنا وجود الأصول التراثية للحكايات فى أدبنا العربى القديم ، لكنه يجب الاعتراف بأن الحكايات المروية للأطفال كانت تعيش عالة على (خيال الكبار وتسير فى ظل الخيال تستلهم منه عناصرها ، وتتخذ من التراث الانسانى المصدر التى تأخذ منه مضامينها ، وصارت حكايات الاطفال كالجدول الصغير ينساب من فيض النهر الكبير، من قصص الكبار)(١) ومهما يكن من شئ فان مفهوم الحكايات بأنواعها يطوف فى عقل الطفل بدرجة كبيرة ويفزع الطفل عندما يسمع أو تنطق أمامه كلمة قصة خرافية والتى تستحضر فى ذهنه صورة مدهشة ولا يمكننا تخيل مناهج التعليم المدرسى دون سماع الأطفال لقصص الخيال أو أن يخلقوا هم الأقاصيص من وحى خيالهم ، وقصص الحيوان تقوم بادوار هامة ووظائف حيوية فى حياة الطفل كانتصار الحيوان الذكى صاحب الحيلة على الحيوان الغبى المغفل ولو كان قويا .

ومثل هذا القص يثير خيال الطفل ويستجيب لخاصيتين هما :حبه للحيوان وقدرته على إدراك المشابهات دون الدخول فى تفاصيل وجوه الشبه والاختلاف(٢) ويرد الدكتور محمود ذهنى اسباب التقسيمات الفرعية او بعبارة أخرى التقسيمات النوعية ، الفرعية التى طرأت على اللونين الاساسيين فى الحكايات وهما: الحكايات الخرافية المسلية(حكايات الجان) ، والحكايات على السنة الحيوان- يرد اسباب ذلك - الى طبيعة التطور فى خصائص الأدب

---

* انظر : أمثال العرب للمفضل الضبى، مجمع الامثال للميدانى ، جمهرة الامثال للعسكرى ، الامالى للقالى ، الحيوان ، ثمرات القلوب للثعالبى الأغانى للاصفهانى،المستطرف فى كل مستظرف للابشيهى ، عجائب المخلوقات للقزوينى ، حكايات الحيوان الكبرى للدميرى ، تهذيب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، وغيرها .

1) - Migs Cormelia, Acritcal History of Children ,s Lieteure,P155 .

(٢) – اشكال التعبير فى الادب الشعبى ، د . نبيلة ابراهيم ص ٥٠ – ٥١ .

الشعبى من ناحية ، او الاتجاه التخصصى الدقيق للعلوم والفنون والآداب من ناحية أخرى، وفى ضوء ذلك يذكر:(إذا كان الأدب الرسمى ادبا ثابتا يتطلب سلامة النص ، وتوثيق الأصل وصحةالنسب ، فإن الادب الشعبى أدب متغير متطور ، لايبقى على واحدة ، بل يتغير من عصر إلى عصر ومن مجمتمع الى مجتمع ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مجال الى مجال ، فالحكاية الشعبية مثلا قد يكن لها اصل مدون فى كتب التراث ، ولكنها تحكى بطرق مختلفة متعددة تناسب كل منها زمن حكايتها والبيئة التى تحكى فيها ، وحال المتلقين . وتفسيرا لهذه الظاهرة يقول المتخصصون أن العنصر الاصلى فى الحكاية واحد أو ثابت وتتغير من حوله عناصر الربط والشكل البنائى ، فينتج عنها عشرات الحكايات المتحدة فى الفكرة المختلفة فى الشكل وبالتالى مختلفة فى الهدف)[1] .

ولاريب أن أدبنا العربى عبر عصوره المتتابعة من زمن العصر الذى سبق ظهور الاسلام الى الازمنة الحاضرة وما بينهما ، قدم مادة خصبة من الحكايات الاصلية فى تراثنا العربى، تعد من أغنى المصادر الادبية فى حكايات الجن والخرافة والاسطورة ، بحيث امتعت مضمونها الثرى المتنوع وبشخصياتها غير الطبيعية وغير البشرية الاجيال المتعاقبة من الأطفال العرب .

ومن أشهر الحكايات الباقية عن التراث العربى ، حكايات وقصص الف ليلة وليلة ، وحى بن يقظان ، وأفكار وعناصر من مقامات بديع الزمان الهمذانى، وكليلة ودمنة وغيرها من النوادر والأمثال الوعظية والادب الحكيم أو القصص المسلية . وقد تولدت موضوعات جديدة عن اصول تلك الحكايات العربية الباقية (فمن الموضوعات) التى أذاعتها ألف ليلة ومكنت لها فى عالم الأدب موضوع الرحلات ، ولقد أوحت قصص السندباد إلى كثير من كتاب الرحلات فى الغرب أن يؤلفوا عن رحلاتهم أو عما يتخيلون من رحلات. كذلك أحيت قصص ألف ليلة وليلة موضوع ادب الحيوان فأصبحنا نجد الكثير منه ، وخاصة فى أدب الاطفال والصبية ، وكذلك موضوع الأدب الحكيم، وكان الفضل فى ابرازه بصور جديدة يعود الى قصص الف ليلة وليلة)[2] والف ليلة من أهم المنابع الاولى فى التراث العربى التى تحوى فيما تحوى نماذج عجيبة ، وغريبة ومثيرة فى الأفكار

---

(١) الاطفال والادب الشعبي ، د . محمود ذهنى ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .
مقالة بمجلة العربى الكويتية مارس ١٩٨٨ م .

(٢) الف ليلة ، د . سهير القلماوى ص . ٧٤ – ٧٥ ، ط دار المعارف .

والشخصيات والسرد على السنة البشر والحيوان والطير والجن والشياطين وبساط الريح وغيرها ، وتضم أصول (الف ليلة وليلة) العديد من القصص الخيالية والطريفة والنادرة، وهى فى مجمل دلالتها الفنية تعبير عن الخيال الخصب فى الأدب العربى ، ولعلنا مازلنا نذكر الحكايات التى تم تداولها اوتبسيطها للناشئين من كتاب الف ليلة وليلة مثل حكاية بساط الريح الذى جاب البلدان ، والجواد الخشبى الذى اذا فرك ، عرفه وصهل بسبب حكمة صنعه التى صنع بها ، أيضا قصة عبد الله البرى وعبد الله البحرى ، وكيف أن عبد الله البرى استطاع أن ينزل الى أعماق البحار ويجوب فيها ويعرف خوافيها وغيرها من القصص التى قرأها الاطفال او استمعوا اليها مثل : على بابا ، عبد الله والدرويش ، الملك العجيب ، السندباد البحرى وغيرها . من مثل هذه الحكايات القصصية المثيرة والعجيبة يستمتع بها الطفل وتنمى خياله .

ومن الثابت ايضاً أن الخيال القصصى ينمى لدى الاطفال المعرفة بالكون والكائنات، بالطبيعة ومفرداتها ، ومن ثم يتحول هؤلاء الاطفال بالتدرج الى الاقتراب من الحقيقة او الواقع ، من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر فى المغامرات القصصية الخيالية التى تنقلهم من عالم محدود الى عالم متسع لاحدود له ، فلا توجد قصة او حكاية بدون خيال . وفى ضوء هذا يمكننا القول بأن(القصص الخيالية تجعل الاطفال اكثر وعياً بالعالم ليس فقط عن طريق عقولهم بل عن طريق وجدانهم ايضا فهم لا يكتسبون المعرفة من خلال الاحداث والافكار الخيالية ولكنهم يتفاعلون مع الأحداث والظواهر فى العالم المحيط بهم)(١) ونحن واجدون بالطبع فى بناء الحكايات القصصية صياغة فنية غير مألوفة للقصة أو الرواية بمعناها الفنى الحديث ، اذا الأصل فى الحكاية الخرافية أن تصوغ عالمها الفنى الخاص بها ، بأسلوب منعزل عن معطيات الزمان والمكان، عن طريق الأشياء غير المألوفة وباستخدام السحر والاثارة ، والتسطيح وحفز الخيال ، والبناء الفنى للحكاية يتناغم مع عقل الطفل وادراكه وخصائص ومراحل نموه .

لذلك تحاول الحكاية بأسلوبها الانعزالى أو التجريدى خلق عالم اثيرى أجمل من العالم الواقعى وأكثر منه بهاء وتسلية وسحرا . إن أول شئ يسترعى نظرنا فى الحكاية الخرافية

---

(١) التربية الجمالية المعاصرة ، ف . ساخوملونسكى ، ترجمة كاترين كالنسون ص . ١٣٢ ، ط موسكو ١٩٧٧ م .

هو اتجاهها الاخلاقى ، فهى تكافئ الخير بخيره والشرير بشره . وربما كان من المألوف فى الحكايات الخرافية أن الطفل البطل يظهر له فى ساعة يأسه رجل ، أو امرأة عجوز تقدم له النصح وتسدى له المعونة وقد يظهر له حيوان خير يتحدث اليه ويقدم له المساعدة الازمة . . إن بطولة الطفل ظاهرة تشيع فى الاسطورة او الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية على السواء .

وتحقق الانواع القصصية الموجهة للطفل فى مضامينها المتعددة البناء التربوى المتمثل فى الادب التهذيبى والتعليمى ، فقصص الحيوان حكايات قصيرة تهدف الى أن تنقل معنى اخلاقيا أو تعليميا ، أو حكمة ، أو تنقل مغزى ادبيا ، وعادة ما تكون الشخصيات الرئيسية فيها حيوانات أو جمادات أو نباتات لكنها تحمل صفات الانسان وتعمل عمله ، وفى الواقع أن المكتبة العربية لها فضل الريادة فى مجال تأصيل حكايات الحيوان من حيث التأليف والجمع .

ويعد كتاب ابن المقفع (٧٢٤ – ٧٥٩م) أشهر كتاب فى الأدب القصصى على ألسنة الحيوان والطير (. . فكتاب كليلة ودمنة لمؤلفه الاصلى الفيلسوف الهندى بلباى ، يحتوى على حكايات وأقاصيص خيالية على أفواه البهائم والطير لاظهار الحكمة والتهذيب والتثقيف باستخدام وسيلة ادبية هى القص الخيالى الرمزى ومادة الكتاب تزخر بالأمثال والاحاديث الوعظية ، وتنطق بالحكمة فى ثوب من السحر والخيال والتشويق)[1] وقد تأثر بهذا الكتاب فى مجال الاقتباس والمحاكاة معظم الآداب الاجنبية فى العصور الادبية المختلفة . والآداب الاجنبية التى اقتبست الحكايات القصصية وحكايات الحيوان من الادب العربى مدينة فى الأخذ بالمادة الموضوعة أصلا فى كتب التراث مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، والملاحم القصصية الشعبية ، وقد ألبس هؤلاء الاجانب المادة العربية الاصلية من فيض محاكاتهم واقتباسهم وفنهم فن التصرف * فى مادة موضوعاتها ليلائموا أذواقهم .

---

(١) أشكال التعبير فى الادب الشعبى ، د . نبيلة ابراهيم ، ص . ٦٩ – ٨٠

*تأثر لافونتين بكليلة ودمنه عن ترجمة جلبير جولمان ، كما تأثر دانتى فى الكوميديا برسالة الغفران للمعرى ، ومازالت الف ليلة وليلة مصدراً لا ينفد للاقتباس فى معظم الاداب الاجنبية شأنها قصة حى بنى يقظان فى الأخذ عنها ومحاكاة مضمونها والتأثر بها يبدو فى آداب اكثر من لغة عالمية .

والذى لاجدال فيه أن الاصول الأولى للحكايات القصصية فى مجال الأدب الوعظى التهذيبى أو الأدب الحكيم يعود الفضل فى ظهورها فى الآداب الاجنبية الى الجذور التراثية فى أدبنا القديم من خلال النقل والترجمة .

ونستطيع استقراء فضل تلك الريادة من فقرة أوردها ابن المقفع فى صدارة كتاب كليلة ودمنة تقول:

(. وأما كتاب كليلة ودمنة فجمع حكمةً ولهوا ، فاختاره الحكماء لحكمته والاعزار للهوه ، والمتعلم من الأحداث ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولايدرى ماهو ، بل عرف انه قد ظفر بمكتوب مرقوم . . . وأول ما ينبغى لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التى وضعت له ، والرموز التى رمزت اليه أى غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه الى البهائم وإضافة الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضا ع التى جعلها أمثالاً(*) ونستطيع القول فى اطمئنان أن المقدمة السابقة التى أوردها ابن المقفع كليلة ودمنة تحمل غير الريادة التى اشرنا اليها ، إظهار الحكمة على أفواه البهائم والطير – تحمل التوجيه الاخلاقى والمعرفى للكبار والصغار فى آن واحد وبلون أدبى رمزى ويزعم المؤلف أن اختزان الاطفال لمغزى حكايات وأمثال الكتبات عن طريق الحفظ هى نظرة تربوية تحمل التعليم والتهذيب كذلك ، وهو الذى قصده من عبارة المقدمة:(والمتعلم من الاحداث (الصغار) ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولا يدرى ما هو بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب مرقوم) وعناية الادب العربى القديم بالحكايات القصصية والخرافية وقصص الجان ، لم تأت من فراغ ، بل نتيجة منطقية لتطور حياة الجماعة العربية العقلية والاجتماعية . فاخبار الامم السابقة ، وذكر أيامهم ووقائعهم ، وتطور الخيال البحث فى الكون– كل ذلك – أملى على العرب ارهاصات الاخبار والسرد والقص ، ومن ثم تطورت الى مأثورات ومرويات وحكايات تجمع بين المنفعة والتسلية ، وقد أحسن العربى بعمق نظرته أنه فى بيئة خصبة تمضى الى جوار البشر ، الطير والحيوان فى ذلك الواقع المعاش وتنبه باعمال خياله الى الاعتقاد بوجود كائنات أخرى لايعرف كنهها . فهى عنده الجان والشياطين تارة . والملائكة والالهة تارة اخرى ، وفى تراث الانسانية مرويات تجعل الحيوان أو الطير يتحدث بالانباء والخيال ، كما ورد فى القرآن الكريم غير مرة – فى سياق السور – آيات تتحدث عن الحيوان

* كليلة ودمنة ، لابن المقفع نقلا عن الحكيم الهندى بلباى ، ص ٦٧ – ٦٨ ط القاهرة ١٩٦٨ م .

والطير(**) ومن الملامح الدالة على ذيوع الأساطير فى البيئة العربية القديمة وجود الاساطير الطقوسية وأساطير الخلق أو التكوين ، وما واكبها من وجود الاسطورة الرمزية التى تحمل الرمز فى مضمونها ، ومؤداها أنه لما كان الانسان مازال يعيش فى جو اسطورى ، حول الالهة ، فقد خلع صفات العالم الانسانى على الالهة فأصبحت الالهة تتصرف تصرف الانسان أو اصبح الانسان يسلك مسلكا انسانيا من خلال الالهة .

وقد يقول قائل : ما علاقة الأسطورة وأنواع الاساطير بالطفل ؟ . . ومحاولة المؤلف للرد على هذا التساؤل يسيرة ، إذ الهدف من الاسطورة فى الغالب هو إعادة النظام للحياة فى مخيلة الفرد كما وتقوم الاسطورة بوظيفتها الأخلاقية فى هداية الانسان وهى قبل تلك الغاية لتفسير الكون بظواهره لأنها تحتاج الخيال الذى لايخلو من المنطق وقد عرفت الحضارات الانسانية – وعلى الأخص الحضارات الشرقية – العديد من النماذج الاسطورية ، قبل ظهور الأديان فأسطورة أوزوريس فى الادب الفرعونى القديم وأسطورة التكوين البابلية واسطورة جلجامش الاشورية من أنواع الاساطير التى سبقت ظهور الاديان . الامر الذى يؤكد مقولة برونسلامالينوفسكى القائلة بأن(الاسطورة تقوم بوظيفة لاغناء عنها فهى تعبر عن العقيدة وتزكيها وتقننها وتصون الاخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس وتضم قواعد عملية هداية الانسان(*) إن شغف الطفل بالاستماع والأستمتاع بالحكايات الخرافية والاسطورية مسلمة من المسلمات عميقة الصلة بخصائص مرحلة الطفولة واحتياجها ما يساعد على حفز خيال الطفل وتنمية مداركه والتفاعل بالظاهرة المحيطة به ومحاولة سبر أغوارها ، فالطفل مولع بالخيال ومحاولة ايجاد العلاقة بين الظواهر والاشياء غير المألوفة)[1] ولو يكن للحكايات القصصية أو الخرافية أو الاساطير وجود فارق خارطة الأدب العربى ماعاشت مثل تلك الفنون النثرية الادبية بين الاجيال تتردد وتدون ، بل وتستمر ينبوعا أصيلاً للمحاكاة والاقتباس فى الآداب الاجنبية ، على نحو استلهام الغرب لمضامين ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وحى بنى يقظان وغيرها من الحكايات القصصية المفيدة والعجيبة قصص الحيوان Fables وقصص المخلوقات المفيدة والعجيبة التى تضمنها كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى أو الحيوان للجاحظ ، والحيوان للدميرى ، أو فى السير والملاحم المثيرة

(**) سميت عدة من سور القرآن الكريم باسماء الحيوانات والطيور وسيقت آيات تلك السور بغرض ايضاح معجزات الخالق فى خلقه ومخلوقاته ، ومنه حديث وادى النمل والنملة قال تعالى فى سورة النمل :"ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم "وقال عز من قائل من حديث الهدهد الى نبى الله سليمان أحط بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين" ومن قوله"وورث سليمان داود وقال (يايها الناس علمنا منطق الطير) ، والطير لا تنطق فقط بل تسبح لله وتصلى(الم تر أن الله يسبح له ما فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)الاية ٤١ سورة النور .

* الحكاية الشعبية ، د . عبد الحميد يونس ، ص ١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

(١)انظر لمزيد من التفاصيل حول القصة · السيرة لابن هشام ، الاغانى للاصبهانى المستطرف للابشيهى .

فى تتابع أحداثها ومعجزات أبطالها وعبقرية مضامينها وأشهرها فى الادب العربى السيرة الهلالية وسيف بن ذى يزن وعنترة بن شداد والاميرة ذات الهمة وغيرها .

وتكاد تتفق معظم الروايات أن أول من قص القصص وحدث بالحكايات فى الادب العربى مع ظهور الاسلام هو تميم الدارى وهو نصرانى أسلم فى سنة تسع من الهجرة ، ومن أشهر ما قص به من قصص خيالى قصة(الجساسة والدجال)(١) وتحمل هذه القصة فى مضمونها النظر الجزئى والموضوعى للعقلية العربية ، ويمثل شكلها التعبيرى إشراك الحيوان فى الحكاية وتروى قصة الجساسة والدجال"على لسان الدرارى" . . أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارتأو أن يأووا إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب سفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم "دابة" أهلب كثيرة الشعر فقال : ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، وسميت الجساسة لأنها تتجسس الاخبار فتأتى بها الدجال ، ومما يذكر فى هذا الشأن أن صورة تقديم الحكايات القصصية العربية كانت تؤدى على السنة الرواة فى الاسواق ومنتديات السمار وعلى ألسنة المربيات والجوارى فى بيوت الاغنياء قبل الاسلام ، وبظهور الاسلام كانت تؤدى الحكايات القصصية فى المسجد بالاضافة الى الاماكن التى ذكرناها ، وكان القصاصون الرواة يتولون مهمة القص من داخل المسجد والناس من حول القاص يتحلقونه ويستمعون الى ما يلقيه عليهم من قصص وحكايات وأمثال وأساطير ، وكان يضيف الى مادته ما يضفى عليها المتعة والمنفعة والخيال فكان "لايعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب) ومن المؤكد أن إدخال القاص لمفهوم الترغيب والترهيب فى الحكايات القصصية يمثل – غير النظرة العقيدية – تطور الشعور الجمعى والعقل العربى بأعتناق دين سماوى روحى يسمو بالانسان ويتجاوز جمود صراع الافكار البدائية الى صراع جديد محوره العقل والوجدان ، وينمى لدى الانسان الميل الى الاستقصاء والادراك وحفز الخيال .

---

(١) تعد المقامات العربية من مثل مقامات بديع الزمان الهمدانى ، احد أشكال التعبير القصصى فالمقامة قصة مسجوعة غالبا، تشتمل على عظة او لمحة تؤدى بجمل قصيرة موحية ، منها هذا البيت من المقامة البصرية للهمذانى :

يطوف ما يطوف ثم يأوى   الى زغب محددة العيون

انظر . مقامات الهمدانى ، شرح الشيخ محمد عبده، ط بيروت ، ١٨٨٩ م .

وقبل أن ننتقل من الحكايات القصصية والاسطورية[1] التى أشرنا الى وجودها فى أدبنا العربى القديم إلى أنواع أدبية نثرية لها أهميتها بالنسبة للطفل يجدر الاشارة الى أن كتب اللغة والاداب التى أشرنا اليها غير مرة تشتمل على وصف دقيق لنتاج خاص بالاطفال وتعرض صفحات عديدة لحكايات ومقطوعات وأخبار تدلنا على أهتمام العقل العربى بالطفولة ، كيف كان المؤدبون يعاملون تلاميذهم ويكافئون النابهين منهم ، ان استقراء تاريخنا الأدبى يعطينا حقيقة هامة فى مجال أدب الاطفال وهى أهتمام العقل العربى بالانواع القصصية الموجهة للطفولة . وقد كتب لتلك الحقيقة الاستمرار الى عصرنا الحاضر، فالقصة أو الحكاية التى تقدم للطفل هى لون أدبى رائد فى المناهج التربوية وعلى ألسنة الأمهات المعاصرات الائى يمهلن هذا الجانب فالحكايات القصصية تلائم طبيعة مراحل انتقال الطفل من مرحلة ما قبل المفاهيم (النمو الحركى والحس العقلى) الى مرحلة الخيال المنطلق ومن الخيال المنطلق الى مرحلة الاقتراب من العلميات الفكرية المحسوسة(الواقع) . وفى قصة حى بنى يقظان ما يؤكد صدق تلك المقولة السابقة ومدى معرفة العقل العربى بأبعاد القصة وعلاقاتها بخصائص الطفولة ، فابن طفيل فى سرده لحى بن يقظان هيأ خيال الصغير للادراك مع شغف بالاستمتاع ، فهو يرى بخياله الرائع أن الجسد الحى تتحكم فى عناصر أربعة هى أساس وجود حى بن يقظان الذى نشأ نتيجة منطقية لتفاعل العناصر الاربعة فى جزيرة طيبة الارض والهواء معتدلة المناخ وما أن تكون حى بن يقظان حتى تتولى رعايته غزالة أرضعته من لبنها حتى شب وأدرك وأصبح عقله هو قائده الذى يرشده ويهديه ثم عرف من بعد حقائق الأمور المحيطة به الي أن ادرك الخالق جل جلاله .إن الاستقراء المفصل لحكايات الف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة، وقصص الحيوان عند الجاحظ والقزوينى والدميرى وحكايات الخوارق ، وما تتضمنه عناصرها من أحداث وشخصيات وغرائب وعجائب وأفكار - يدلنا - على وجود مادة أدبية قصصية، لها خصوصيتها، وآثارها، ويمكن للمبدعين الذين يتوفرون على كتابة نوع أو أنواع نثرية فى أدبنا العربى أن يجلوا صفحاتها ويعمقون توجهاتها من خلال إعادة المعالجة لأصول تلك النصوص الادبية أيضا إمكانية تبسيطهم تلك الانواع الادبية للطفل لأهمية تاثيرها الوجدانى فى نفوسهم وشخصياتهم إن ولع الأطفال المعهود بالحيوانوالطير يحفزنا

---

(١) انظر لمزيد من التفصيل حول القصة . السيرة لابن هشام ، الاغانى للاصبهانى ، المستطرف للابشيهى .

لتقديم*المادة القصصية – مكتوبة ومروية – فى أشكال جذابة تجمع بين التسلية والمتعة والفائدة وصقل الخيال وحفز الادراك ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن تقديم المادة القصصية للأطفال نقلا عن أصولها الأولى يتطلب التنقيح والتهذيب بما يلائم خصائص الطفولة .

إن تأثير الاشكال القصصية الموجودة فى التراث العربى يسهم فى التكوين الأدبى للأطفال ، عن طريق تبسيط أومعالجة أنواع الحكايات القصصية والأسطورية فى الأدبين الرسمى والشعبى وكذلك تقنية الأصول التراثية للحكايات بأنواعها وتتبع إنتقالها من جيل الى جيل ، وقد المحنا كذلك الى عمليات التعديل أو التبسط التى تمت على ألسنة الرواة والمعلمون والمؤدبون بما يحقق النظرة الوظيفية للأدب .

وعرفنا أن القصص الخيالى هو الذى يجرى – فى معظمه – على السنة الحيوانات والطيور والجمادات ويشترك الأنسان احيانا فى هذا اللون الادبى بطريقة غير مألوفة تتسم أحداثها وتفصيلاها بخرق النوامس الكونية ، كما أن القصص التهذيبى أو التعليمى يهدف بطريقة مباشرة الى غرس القيم العليا الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والمثل السامية فى عقل ووجدان الطفل اما القصص الاسطورى والذى يعزى وجوده الى عصور سحيقة فكان يدور حول الجان أو الشياطين والمخلوقات الغريبة*وغيرها وأهم ما يميز هذا اللون القصصى قيام البطل الأسطورى بخوارق العادات ومواجهة الصعاب التى تعترضه من خلال تسلسل أحداث مثيرة تهدف الى إعادة تنظيم الحياة .

---

*يمكن الاعتماد على مادة حكايات التراث القصصى العربى باعادة تقديمها للاطفال بعد تبسيطها وتهذيبها بديلا عن استغراق الكتاب المحدثين فى الاقتباسات والنقول المتزايدة عن الاداب الأجنبية بقيمها الوافدة . . وقد أقلت من تلك الاقتباسات الأجنبية كامل كيلانى من المحديثين وعبد التواب يوسف من المعاصرين ، فى فنية ملحوظة وريادة غير مسبوقة .

*درج نفر من الباحثين على ترديد مقولة غريبة مقولة غربية مؤداها أن الأدب الامم السامية تتسم بعدم وجود النموذج الكامل للأساطير بسبب ضعف الخيال ، وتاريخ الادب فى الامم الشرقية يدحض ذلك فكم من أسطورة وجدت عاشت بين الاجيال جيلا بعد جيل فى الحضارات البابلية والفرعونية والهندية والجاهلية لمزيد من التفاصيل ، راجع india Myths , Babylonian Myths Egyption Mytholoy, وقد اشار كتاب الشرق فى مؤلفاتهم الى معرفتهم بعناصر الاساطير قال الشاعر العربى القديم

واعلم أن المستحيل ثلاثة   الغول والعنقاء والخل الوفى

والعنقاء طائر وهمى ، نادر فى معتقد الناس يرمز للخلود لدى كثير من شعوب العالم القديمة وقد ذكر العرب فى تاريخ آدابهم وفى أياتهم "العنقاء" وكان للعنقاء الطائر العربى الاسطورى أثره فى الاداب الأجنبية وسميت العنقاء بالشجرة العربية ، فقد ذكر العنقاء لدى شكسبير فى مواضع متعددة باسم الطائر العربى منها مسرحية "كما تهوا" العاصفة وهنرى السادس ، "اضافة الى تكريس قصيدته "العنقاء والنواح لها" ويردفها ايضا باسم الشجرة العربية ، لمزيد من التفاصيل انظر . كتاب الحيوان للجاحظ والعين للفراهيدى .

وليس بمقدور المؤلف المنصف وهو يرصد ظاهرة مادة أدب الطفل في تراثنا العربى ويتتبع وجود أشكالها النثرية والشعرية أن يسقط من بين ثنايا كتابه عدة أنواع نثرية لها تأثيرها على الناشئين ، وقد كتب لبعضها الأخر التوقف عن المسير تبعا لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة ، ومنها المقامات ؛ منقد مقامات بديع الزمان الهمذانى(٣٥٨ -٣٩٨ هـ) أحد الاصول التراثية التى تزخر بالقصص والامثال والحكم بحيث يمكن أعادة تبسيطها للأطفال لأن الأسلوب اللغوى ، نثره وشعره فى مقامات الهمذانى يصعب فهمه وإدراكه من قبل الاطفال ويمكن لكتاب الطفولة إعادة المعالجة بالتبسيط دون أن تفقد اصالتها ومضامينها الفريدة ، أو وظائفها الأخلاقية .

الأمثال الحكيمة:

ومن الانواع النثرية فى الأدب العربى التى كتب لها الاستمرار الامثال والحكم والوصايا، وهى انواع تنتشر مادتها الادبية فى الادبين الرسمى والشعبى ونحاول بيان علاقة تلك الانواع بالطفولة وتكوينها الأدبى .

الأدب الحكيم ، أو الاقوال الحكمية من مأثور القول والحكمة والمثل والوصايا والعظات ، هى جميعا خير تعبير يمثل الرؤية الاخلاقية فى أدبنا الموروث وقد خاطبت هذه الالوان الادبية فى أحد مقاصدها وجدان الطفل وحواسه بمثل مخاطبتها عقله ومنطقه ، وقد لعبت هذه الألوان دورها الحاسم فى التكوين الأدبى للأطفال . ومما يلفت النظر أن الادب العربى قد جعل محور أرتكازه بالنسبة لتكوين الطفل الأدبى من خلال الحكم والأمثال والمواعظ والمأثور الشعرى والنثرى من القول وذلك فى خط مواز لتعامل الاطفال مع الحكايات القصصية وما تتطلبه من نمو معرفى ووجدانى لمتابعة الافكار والاحداث والخيال والمقاصد الاخلاقية . قد قال الله عز وجل فى شأن كمال النبوة الأخلاقى﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ الآية ٤ سورة القلم .

وقال سبحانه وتعالى:(مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فالعتيد هو المهيأ والحاضر واعتد الشئ هيأه وأعده *فالنظرة الالهية للنبوة تتسم بالكمال الاخلاقى ، ولنا فى رسول الله (ﷺ) الأسوة الحسنةَ ، كما أن الأدب العربى فى أحد غاياته لا يفصل عن تلك الرؤية الاسلامية الشاملة ، فالادب من هذا الجانب التهذيبى الأخلاقى يمثل(. .كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان، والمحاكاة تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التى تضمنتها لغة أى أمة هو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول ابناءها وأمثلة طبائعهم ، وصور أخيلتهم ومبلغ بيانهم ما من شأنه أن يهذب النفس، ويثقف العقل ويقوم اللسان"[1] والعقلية العربية احتفلت بالطفل من زمن ولادته الى أن يشب ، فالأدب فى أحد مقاصده العربية رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى أن يكون، وكان الطفل ينمو ويشب على القول الجميل والمنظوم والمنثور، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله عز وجل فيها : ﴿ومن

---

* المعجم الوجيز ، ط : مجمع اللغه العربية ، ص ٤٠٥ القاهرة .

(١) الوسيط فى الادب العربى وتاريخه ، أحمد الاسكندرى واخرون ، المقمة طبع القاهرة سنة ١٩١٦ م .

يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ الاية ٢٩ ، وفى الحديث النبوى (أن خياركم أحسنكم أخلاقا)(١) .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام فى معنى استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة والبيان المؤثر : إن من البيان لسحرا . ومقولة على بن أبى طالب (علموا بنيكم أخلاقا غير أخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم"مقولة لها مغزاها فى ضرورة حسن إعداد الطفل المستقبل الذى ينتظر الامة)(٢) وقيل (أن معاوية سأل عمرو بن العاص من ابلغ الناس فقال اقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولم يكن فى ذلك الفخر الكامل لماخص به سيد العرب والعجم ﷺ وأفتخربه حيث يقول نصرت بالرعب وأتيت جوا مع الكلم ، وذلك أن كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة)(٣) .

وفى آيات القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوامع الكلم ، التى تجرى بين الناس هداية ووعاء للمعانى والقيم المحمودة ، من مثل :(ولقد آتينا لقمان الحكمة) و (حكمة بالغة فما تغنى النذر) و (أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) و (قل لايستوى الخبيث والطيب). فالأدب الوعظى الحكيم يلعب دوره المباشر فى حفز مشاعر الأطفال ، والآداب القديمة تزخر بالحكم والوصايا ، وأشهرها ذيوعا وتأثيرا تلك التى يحدثنا عنها القرآن الكريم﴿إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾"الاية ١٣ سورة لقمان.

وما من شك أن شغف الاطفال بالمجهول وميلهم إلى حب الاستقصاء جعل الرواة وعلماء اللغة والأدب والمعلمون والمؤدبون يحفزون خيال الطفل العربى بالوقوف والتأمل عند تجارب الأمم السابقة كى يحصلون على ثمرة القول السائر والحكمة الباقية . وفى ذلك قال اكثم بن صيفى حكيم العرب(ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموها على خلق تذمونه)(٤) فالاخلاق المحمودة غاية وظيفية أحد وسائلها الأدب بمعناه التهذيبى العام ومعناه الأدبى الخاص كذلك ، فالقدرة المكتسبة التى يكتسبها الطفل من

---

(١) صحيح البخارى ، جـ ١ باب الأدب .
(٢) المنهل ، ع ١٩١ ، السعودية ، ١٤٠٥ هـ .
(٣) المستطرف من كل مستظرف للابشيهى ، ص ٣٩ جـ ١ .
(٤) نهاية الارب للنويرى ص ٢٠٥ .

تأثير الانواع الادبية فى النفوس من أهم الدعائم الوجدانية التى نؤسس عليها الملكات اللغوية والادبية بين الناشئين (وللعرب نظرتهم الفلفسية للكون ، وهى نظرة ذات طبيعة خاصة تتسم بالجزئية والتغير . . وعلى أساس هذه النظرة تملكوا السنتهم)[1] وهناك علاقة من نوع خاص تتعلق بالادراك لدى الاطفال ومدى فهمهم للحكم القصار والأمثال الحكمية– نثرية وشعرية – فالحكمة أو المثل من أقرب الفنون وصولاً إلى عقل الطفل وادراكه بسبب قصر الحكمة أو المثل وأيجازهما من ناحية والبساطة فى الاسلوب اللغوى المستعمل من ناحية أخرى .

وهذا لايعنى أن الامثال والحكم التى وصلتنا عبر العصور الأدبية من تاريخ أدبنا العربى كانت فى جملتها رسالة ادبية موجهة للكبار فى المقام الاول من خلال خطبة أو عظة أو منظومة أورواية ونحو ذلك من وسائط الابلاغ أو التدوين ، ولكن الذى لاشك فيه أيضا ، أن أمثال العرب وحكمهم لم تخل من نماذج نثرية أو شعرية يفيد منها الطفل ويستمتع ببيانها ، ومن الانصاف إذا القول بأن تأثير الامثال والحكم فى نفوس الكبار له ما يبرر تأثيره كذلك فى نفوس الصغار . وهذا يقربنا من تعريف المثل وتأثيره . فكلمة مثل تطلق على الحكمة السائرة ، وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وهى مأخوذة لغة من قولك : مثل هذا الشئ ، ومثله كما تقول : شبه وشبهة فالاصل فى المثل التشبيه بواسطة الاداء اللغوى البسيط الموجز[2] .

والأمثال مرآة تريك صور الأمم وقد مضت ، وتقفك على اخلاقها وقد انقضت ، وهى ميزان يوزن به رقى الشعوب وأنحطاطها ، وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها ، ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا بابا إلا ولجوه ، ولا طريقا إلا وسلكوه وقد أفردها العلماء بالتأليف ، وأقدم الامثال المأثورة هى أمثال لقمان الحكيم(والمثل قول محكى سائر يقصد منه تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله والحكمة قول رائع يتضمن حكما صحيحا سليما وكما يكون كل منها نثرا يكون نظما[3] وفى الحديث : أن من الشعر لحكما ، أى أن فى الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسف وينهى عنها ، قيل :أراد بها المواعظ والامثال

---

(١) فجر الاسلام احمد امين ، ص ٤٣ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الوسيط فى الادب العربى وتاريخه ص ١٦ .

التى ينتفع الناس بها . .

ويرى أن من الشعر لحكمة ،وهو بمعنى الحكم وقد سمى الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة فقال :(وغريبة تأتى الملوك حكيمة ... قد قلتها ليقال : من ذا قالها؟) والمثل لغة : الشئ الذى يضرب لشئ مثال فيجعله مثله ، وفى الصحاح : ما يضربه مثل الأمثال . . وقد يكون المثل بمعنى العبره وماثل الشئ :شابهه)[1] . وفى غير موضع من سور القرآن الكريم وردت لفظة المثل ومنه : قول الله عز وجل :(ياأيها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له) فإن آمنوا بمثل ما آمنتم ، به) ، (مثل الجنة التى وعد المتقون) .

ومما يلاحظ أن النوق العربى جعل الامثال الحكيمة والحكم القصار ترجمة شئون الحياة ، ووصف مظاهرها ، ورصد الخبرات المستفادة منها ، لذلك تعد الحكمة محورا للأستدلال العقلى ونقل الخبرة بين الاجيال وأشهر الحكم العربية المأثورة هى التى قال بها أكثم بن صيفى فى الجاهلية والأمام على بن ابى طالب فى الاسلام وغيرهما من حكماء العرب . وقديما اتفقت مقولة الالوى مع ابن رشيق فى أن العرب كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقوا السنة وأوفرهم إهاما أستتبع ذلك(أن حكمة العرب اشرف الحكم)[2] .

وعلى بساطة لغة الحكمة أو المثل فهما يطلقان الخيال للمعانى المقصودة من وراء ضربهما ، وهو خيال غير تركيبى لايعرف المبالغة والاغراق والتعتيم ، لأن الصورة الفنية فى الأدب الحكيم تنتزع من شئون الحياة وخبراتها ، ومن الطريف أن توجد طائفة كثيرة ومتنوعة من الامثال الحكيمة نثرية وشعرية فى أدبنا العربى ، يدخل فيها عنصر الحيوان ، الامر الذى يعمق من مفهوم الادب التهذيبى على إلسنة الحيوان والطير ومدى صلاتهما المعهودة والمحببة الى عالم الطفل . وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن "الادب التهذيبى" أو التعليمى فى الأمثال ينحو الى إفتراض من نوع ما يرمز الى واقعة أو ظاهرة فى فترة زمنية من حياة المجتمع يكثر فيا الظلم .

ويميل المؤلف الى الرأى القائل أن الامثال الحكيمة الفرضية(تكثر فى الأيام التى يكثر فيها

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة حكم ص ٩١ – ٥٩٢ .
(٢) العمده لابن شيق ، المقدمة .

الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون إليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم على مافيها من الترويح عن المخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المطوية فى تضاعيفها النصحية [1]) ومن الامثلة الفرضية : فى بيته يؤتى الحكم . وهو محكى لسان الضب . ومنه ايضا:أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له:ما اسميت فرسك؟ ففقأ عينيه ، وقال سميته الاعور، فقال الشاعر :[2]

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم ... وأى امرئ فى الحمق أحمق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب فى الجهل

ومن الامثال النثرية التي ترتبط بحكاية أو طرفه مأثورة :

- رب رمية من غير رام .
- ما يوم حليمة بسر.
- مكره أخاك لابطل .
- سبق السيف العدل .

ومن الامثال الحكيمة المنظومة :

لاتقطعن ذنب الافعى وترسلها ... ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

ومنه أيضا :

أن ترد الماء بماء أوفق ... لاذنب لى لقد قلت للقوم استقوا

ومنه كذلك قول ابو العتاهية :

والفقرذل عليه باب ... مفتاحه العجز والتوانى

ويقول : بشارد بن برد :

وليس عتاب المرء للمرء نافعا ... اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

---

(١) الوسيط فى الادب العربى تاريخ ، واحمد الاسكندرانى واخرون ص ١٧ - ١٨
(٢) محاضرة الابرار ومسامرة الاخبار لابن عربى ، تحقيق محمد مرسى الخولى ص ١٥٣ ، ٢٢٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب

وقال طرفه بن العبد : كلهم أروغ من ثعلب ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، وديوان الشعر العربى كما هو معلوم ، تتناثر فوق صفحاته منظومات – غزيرة فى الحكم القصار والامثال الحكيمة مما يمكننا من انتخاب ما يوافق عقل الطفل وادراكه وهذا لا يتعارض مع شعر الحكمة كغرض أساسى من أغراض الشعر العربى الموجه للكبار وتبقى بطبيعة الحال الفروق فى التوجه واللغة لدى المتلقى.

ان استقراء الامثال الحكيمة والحكم القصار يعطينا من السهولة فى الالفاظ واعمال الخيال ، وذكر خلق العالم وفنائه وأحوال وصفات الخالق ، والافادة من مواقف وخبرات الحياة . فالحكمة كلمة جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب المفروض فيها فيها أن يسلم بها الجميع مثال ذلك قول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه   مالجرح بميت ايلام

والمثل فى تعريفة ونماذجه التى عرضنا لها ، يتضمن الحكمة الذائعة منذ القدم وتتضمن ملاحظة عامة ، وغالبا ما تكون فى اسلوب مجازى من مثل : اليأس احدى الراحتين . المورد كثير الزحام . فالحكمة والمثل يكتب لهما الخلود والنقل بين الاجيال تدوينا ورواية نظراً لتداولها بين الناس وتميزها بالدلالة الموحية الموجزة . ،كثيرا ما تسمى الحكم القصار والأمثال الحكيمة بالمثل المتداول أو المثل السائر . ومن الثابت أن الجملة القصيرة الموجزة ، أو المقطوعات ذات البحور الشعرية الخفيفة المجزوءة أقرب الى عقل الطفل وادراكه عن الجملة الطويلة المحملة بالخيالات البعيدة والألفاظ الحوشية المبهمة .

وأدب الامثال والحكم فى النهاية له جذوره الضاربة فى أعماق تاريخنا العربى وقبل تدوين الحكم والامثال العربية حفظ الموروث الشعبى أدب الامثال والحكم على نحو ما نقلناه عن الأداب القديمة البابلية والكنعانية والمصرية والهندية وغيرها ، ولأهمية الامثال فقد سارع العرب الى تدوينها منذ أواسط القرن الاول للهجرة ، إذ الف فيها صحار العبدى أحد النسابين فى ايام معاوية بن أبى سفيان (٤١ – ٦٠ هـ) كما الف فيها عبيد بن شريه معاصره كتابا آخر ، ويقول صاحب الفهرست أنه رآه فى خمسين ورقة وإذا انتقلنا الى

القرن الثانى وجدنا التأليف فى الامثال يكثر : إذا اخذ علماء الكوفه والبصرة جميعا يهتمون بها ويولفون فيها ، وقد وصلنامن هذا القرن كتاب امثال العرب للمفضل الضبى ونمضى الى القرن الثالث الامثال لأبى عبيد القاسم بن سلام "ما تزال المولفات فى الامثال تتوالى حتى يؤلف ابو هلال العسكرى كتابه" جمهره الامثال" ويخلفه الميدانى فيؤلف كتابه"مجمع الامثال" وهو يقول فى مقدمته أنه رجع الى ما يربو على خمسين كتابا .

ومن يرجع الى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التى تسمى مثلا ، ولا يكتفون بذلك ، بل يقفون غالبا لسرد القصة اوالاسطورة التى تمخض عنها المثل وقد تتمخض عن امثال فتروى فى تضاعيفها(١) وقد أهتم علماء الاستشراق بالامثال العربية الحكمية وأبرز محاولة علمية فى هذا الشأن قام بها المستشرق الالمانى جورج فيها فريتاخ(١٧٨٨ – ١٨٦١ م) حيث توفر على اصدار موسوعة كبرى بعنوان "أمثال العرب" فى ثلاث مجلدات ضمت ثلاثة الاف وثلثمائة وواحد وثلاثين مثلا عربيا والاهم من اصدراه الموسوعة هو اضطلاعه بجهد علمى فائق رائد فى ترجمة امثال لقمان الحكيم" إلى اللاتينية نقلا عن مخطوطه عربية موجودة بباريس(٢) . فقد وجد مادتها الثرية تفيض بالفائدة وما تحمله من مقاصد أخلاقية وتعليمية ووعظية . بالرغم من أن كتاب فريتاخ "أمثال العرب" له فضل يذكر على المكتبة العربية فان عمدة كتب الامثال عند العرب هو كتاب مجمع «الأمثال للميدانى» (٢) لأنه جمع مادة كتابه القيم بعد الرجوع لمظان الأمثال العربية الأولى، فجاء كتاب الميدانى أغزر مادة وأقوى مضمونا فى جمعه وتأليفه، وقد بلغ عدد الأمثال التى أوردها الميدانى كتابه أربعة آلاف سبعمائة وستة وخمسين مثلاً عربيا، وهذا لا يقلل من دور التحقيق والترجمة اللذان قام بهما فريتاخ فى تقديم لون أدبى عربى إلى الآداب الإنسانية.

---

(١) تاريخ الادب العربى العصر الجاهلى ، د . شوقى ضيف ، ص ٤٠٤ ط دار المعارف ، د . ت .

(٢) وجدت مخطوطة أمثال لقمان الحكيم بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٧٥ وتقع فى ١٤٤ ورقة بواقع ١٤ سطراً فى كل صحيفه من المخطوطة ، ونظرا لاهميتها البالغة قام د . يوسف حبى بنقلها محققة عام ١٩٨٥ ، انظر امثال . لقمان الحكيم، د . يوسف حبى ، المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٨٥ .

إن الحكم القصار والأمثال الحكيمة الموروثة تحقق الوظيفة اللغوية والأخلاقية باعتبارها وقفا على الأدب التهذيبي والوعظي والأخلاقي، واستخدام الأسلوب اللغوى البسيط والموجز فى تلك الأنواع الأدبية أدى وظيفته بحيث يتعامل الطفل مع اللغة فى العبارة أو الجملة القصيرة الدالة وفى إيجازها الإيقاعي، وفى إطار هذا النمو اللغوى تعمقت فى مخيلة الطفل العربي قدرات وملكات التذكر والتخيل الاسترجاعى، والاكتشاف والتعريف، والتعلم، والتجريد والقياس والإدراك والاستجابة الإيقاعية.

ونستطيع القول فى النهاية أن اللطائف الحكيمة المروية من خلال قول مأثور بأسلوب المثل أو الحكمة من خلال قصة مروية على ألسنة الطير والحيوان، أو قصص خيالى، أو خرافى، تهدف جميعا عقل الطفل ووجدانه بما يحقق المنفعة والمتعة.

ومن الثابت أن وراء كل مثل من هذه الأمثال السابقة وغيرها من الأمثال قصة أو موقف أو طرفة، ومهمة كتاب الطفولة سرد تلك الأمثال الحكيمة فى قالب فنى معاصر يستفيد منه جمهور الطفولة بما يترسب فى نفوسهم.

الألغاز والأحاجي :

تهدف الأحاجي والألغاز فيما تهدف إلى تعليم الأطفال والكبار معاً كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها؟. ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي، ومن ثم فقيمة اللغز أو الهدف من قيمة تعليمية وترويحية بغرض المنفعة والتسلية، كان الإنسان دائما مفتونا بالتشبيه التمثيلي منذ أمد طويل .. لقد أدرك أرسطو وجود علاقة بين اللغز والاستعارة، فاللغز يستخدم الأسلوب الشعرى أو فيما يقارب الشعر مثل القافية والإيقاع والجناس الاستهلالي والتشخيص والرمز والاستعارة، وهذه الإمكانيات الأسلوبية فى اللغز تطورت به منذ القرن السادس الميلادى إلى العصر الحاضر تطورا كبيرا، فالقياسات التمثيلية المركبة أو التشبيهات التمثيلية أكثر تعقيدا ومن إدراك عناصر اللغز الأدبى يأتى بالطبع حله.

اللغز لغة:

الألغوزة ما يعمى به من الكلام والجمع ألاغيز، اللغز جحر الضب والفأر واليربوع. الغز كلامه، وفيه عمى مراده وأضمر على خلاف ما أظهره [1]وفى اللسان: اللغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره واللغز من كلام فشبه معناه، مثل قول الشاعر، أنشده الفراء.

ولما رأيت النسر عز ابن دابه وعشش فى وكره جاشت له نفسى.

واللغز فى الأصل [2]حجر ملتوى للضب والفأر واليربوع، والألغاز طرق تلتوى وتشكل على سالكها وفى معجم الأدب ورد اللغز كمصطلح من مصطلحات الأدب بمعنى: صورة الشيئين أو أكثر للتكنية عن كلمة، وكل صورة لأحد الشيئين ترمز لجزء من هذه الكلمة[3] وأفرد علماء اللغة العرب فى كتبهم المعنى اللغوى لمادتى «لغز» ورصيفتها مادة حجا

---

(١) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى . د . نبيله ابراهيم ص ٣٢٥ - ٣٣٤ .
(٢) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، د . ابراهيم ص . ٣٢٥ - ٣٣٤ .
(٣) المعجم الوجيز ، مجمع اللغه العربية ، القاهرة ، ص ٥٥٩ .

فالحجا، مقصورة: العقل والفطنة وأنشد الليث للأعش :

إذ هي الغصن ميالة   تروق عيني ذي الأحجار الزائر

والجمع أحجاء قال ذو الرمة:

ليوم من الأيام شبه طوله   ذو الرأى والأحجاء مقلع الصخر

وكلمة محجبة: مخالفة المعنى للفظ، وهى الأحجية والأحجوة، وقد حاجيته محاجاة وحجاء: فاطنته فحجوته . ولا أحجية والحجيا أى بالأغاليط)[1] ويعرف الدكتور مجدى وهبة اللغز، والأحجية فيذكر: «اللغز، والأحجية: سؤال يتضمن أوصافا لشئ ما ويطلب من المخاطب تقييد ذلك الشئ بقصد الاختبار الذهنى أو الترفيه، وله أنواع: منها ما يصف الشئ بعبارات ويطلب معرفة الموصوف عن طريق القياس أو المقارنة، مثال ذلك اللغز الذى حله الملك أوديب حينما سأله الأسفنكس، ما هو الشئ الذى يمشى على أربع فى الفجر واثنين ظهرا وثلاث مساء / والجواب هو الإنسان فى فجر حياته وشبابه وشيخوخته، ومنها ما يتضمن التلاعب فى حروف الكلمة بالحذف أو الزيادة مثال ذلك: كلمة إذا أهمل ثانيها كانت اسما لحشرة تخرج طعاما شهيا، وإذا أعجم ثانيها أصبحت علما على شجرة تنتج ثمرا جنيا. والجواب النحلة والنخلة . ويرجع اللغز فى الأدب إلى عهد بعيد فنجده مستعملا مثلا فى الأساطير الأشورية واليونانية القديمة حيث تصور السنة مثل شجرة ذات اثنى عشر غصنا تذبل الواحد تلو الآخر، ثم ينمو من جديد، أو القطعة من نثير الثلج عصفورا ناصع البياض مجردا من الجناحين تزدرده فتاة مقطوعة اليدين (كناية عن الشمس) فيبدو إذن أن الألغاز القديمة ذات صلة بالرموز والمجاز)[2] والألغاز بناءة وليست اختبارات أو قياس البراعة فحسب كما يبدو من الأسلوب التعبيرى لشكل اللغز الظاهرى، بل للألغاز وظيفة أخلاقية وتعليمية شأنها شأن الأنواع الأدبية التى عرضناها فى هذا الفصل، وتأثيرها فى مرحلة الطفولة أقوى من أى مرحلة تالية لها فهى تحقق راحة نفسية وعلاج سلوكى غير مقصود للميول العدوانية التى تصاحب مرحلة الطفولة المتأخرة، فالطفل عندما يحل اللغز ويفك رموزه اللغوية يشعر بنوع من تقدير الذات يضيف للإنسان رغبة أو رغبات جديدة للاكتشاف والاستطلاع وبالتالى إلى حفز الخيال من الناحية الفنية؛ أى تدبر الواقع

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة لغز ، ص ٤٠٤٧ – ٤٠٤٨ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة حجا ، ، ص . ٤٨٢ .

الجمالى للغز.

واللغز من الناحية الأسلوبية كثيرا ما يكون مرتبطا بالشعر الشعبى، فاللغز قد يكون إيقاعيا جدا، أو شعرا مقفى. أو الاثنين معا، والوزن والقافية الشعرية قد يبرزان بتحايل فنى للعناصر المتقابلة أو المتضادة فى اللغز، انظر مثال إلى اللغز البسيط والشائع جدا الذى يقول:

(حزر فزر . ما أقوله ... شئ كثير العيون ولا أنف له) فبالإضافة إلى القافية أو السجع، نلاحظ أن الالحاح بتكرار الكلمات فى السطر الافتتاحى تقليد لكلام الأطفال، وتستخدم لتأكيد التقابل أو التناقض الظاهرى فى السطر التالى. وليس من شك فى أن أرسطو قد فطن إلى العلاقة الوثيقة بين فكرة اللغز من ناحية والاستعارة البلاغية (أسلوب اللغز) من ناحية أخرى وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن الألغاز ليست مجرد أحجية لفظية تطرح للتسلية والتسرية فقط وإنما يحمل اللغز الوظيفة الأخلاقية التعليمية شأنه شأن الحكايات القصصية بأنواعها والأساطير والامثال والوصايا والحكم، فاللغز يمكن أن يحل مشكلة ما أو ينمى معلومة أو معلومات، ويؤكد على القيم الاجتماعية والأخلاقية فى المجتمع كما يقوم اللغز بتحريك الذهن وتنمية الخيال بأسلوب نقدى ساخر، وأهم ما يميز الألغاز هو الاسلوب اللغوى البسيط فى غير تعقيد أو ابهام لفظى لأن الابهام فى اللغزيكون فيما وراء الالفاظ التى يطرحها لا فى الألفاظ ذاتها، وبساطة ألفاظ اللغز وسهولة تجمع بين الجملة الموحية الموجزة والاستعارة التمثيلية القريبة المعنى، وعندما تقترب لغة اللغز من الألفاظ الدارجة فى لغة العامة يسمى باللغز الشعبى .

إن استمتاع الطفل بإلقاء اللغز المنظوم وانطلاق خياله نحو فك رموزه وحله يعدل درجة فائدة النمو اللغوى المكتسب: فى إيقاعه، وايجازه ، ومن ثم يمكن أن يتوسع كتاب الطفولة فى إنشاء الألغاز اللغوية مما يحقق مكاسب النمو اللغوى والمعرفى عند الطفل[1] وقد أفرد الأبشيهى صاحب كتاب المستطرف فصلا للألغاز فى كتابه (المستطرف فى كل فن مستظرف) نقتطف منه هذه الألغاز، وأهم ما يلفت النظر فى أسلوبها اللغوى ومادتها

(١) معجم مصطلحات الادب ، د . مجدى وهبة ص . ٤٨٢ .

الذهنية هو تحريك خيال الطفل وحفزه لإدراك مغزى اللغز، كما أن الأسلوب الشعرى المنظوم على بساطته يحقق مبدأ الإحساس بجمال اللغة، ومنه فى غزال:

إسم قد هويته .. ظاهر فى صروفه . فإذا زال ريعه .. زال باقى حروفه.

وفى دواة:

ومرضعها ولادها بعد ذبحهم   لهب مالذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى راسها   واولاها مذخورة للنوائب

وفى قلم:

وأهيف مدبرج على صدر غير   يترجم غن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره   وضحى بليغا وهو لا يتكلم

وفى كتاب

وذى أوجه ولكنه غير بائح   بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار وجهه   فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

وفى الموز :

ما اسم شئ حسن شكله   تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فإن زدته   واواً ونوناً صار موزونا

وفى فيل :

أيما اسم تركيبه من ثلاث   وهو ذو اربع تعالى إلا له
حيوان والقلب منه نبات   لم يكن عند جوعه برعاه
فيك تصحيفه ولكن إذا   رمت عكساً يكون لى ثلثاه (١)

---

(١) المستطرف فى كل مستظرف ، للابشيهى ، ص ٢٠٢ – ٢٠٥ ط دار الفكر د . ت .

واللافت للنظر أن الألغاز والاحاجي – رغم ندرها – وتوزعها بين متفرقات الكتب لم تغفل الجوانب المحببة للطفل فهي ترتكز في بعض نماذجها علي عالم الحيوان بأعتباره عالم اثيرى لدى الاطفال، ويمكن للمبدعين المحدثين إيقاظ هذا اللون التراثي فهو "أنفع" و"وأمتع" من الالغاز العقلية المعقدة وألعاب الحسابات الآلية المستحدثة التي تنمي في الطفل المادة على حساب إهمال الروح .

خاتمــــة:

تتبعنا الجذور التراثية لأدبيات الطفولة في الادبين الرسمي والشعبي ، ووقفنا عند تحديد الاشكال الادبية (النثرية أو النثر/ شعرية)التي تتفرع منه كجنس أدبي مستقل يتصل بشجرة الأدب الكبرى وقد أشرنا الى الحكايات القصصية في الأدب العربي القديم ومدى عمق الصلة بين الادبين الرسمي والشعبي في هذا الجانب ، وعرفنا كذلك أن المربيات والجوارى والامهات والجدات كن يقصصن الحكايات وهن يجلسن ومن حولهن الأطفال وقد وصلت الينا المأثورات القولية التي كانت تستهل بها الحكايات من مثل :(كان يا ما كان في سالف العصر والزمان)(كان يا مكان – ياسادة يا كرام ما (يحلى) الكلام ، الا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام) وتوارثت الاجيال العربية الناشئة مادة(محتوى) الحكايات القصصية من أصول تراثية يزخر بها أدبنا العربي الموروث ولم تسلم مضامين أو أحداث الحكايات القصصية الموروثة من عنصر الترهيب الذى طبعت عليه وجدانات الأجيال من تأثير سماع الحكايات المخيفة الى تتخللها عناصر (الجان والشياطين والغيلان ونحوها وقد تضاءل عنصر الترهيب في الحكايات القصصية بتطور الحياة العربية وبدأت تميل الحكايات القصصية الى تحقيق المنفعة بهدف تنمية الخيال وتثقيف الناشئين كما أشرنا الى حكايات الحيوان في الادب العربي القديم ولنماذج منها في العصر الجاهلي وفي ظل الحضارة الاسلامية ، وتأثيرها الفعال في الكبار والصغار على السواء وأوضحنا كيف تنوعت حكايات الحيوان في الأدب العربي الذى اشتمل على الحكايات الخرافية والخيالية المروية على السنة الحيوان والطير ، وأقتراب بعض تلك الحكايات من الشكل

* انظر لمزيد من التفاصيل حول استقرار مضامين الحكايات القصصية وأنواعها مثل الف ليلة وليلة .
كليلة ودمنه ، والحيوان للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، ومن المراجع الحديثه ، قصصنا الشعبي د . فؤاد حسنين ، القصة في الادب العربي القديم د . محمود ذهني ، القصص في الأدب العربي . د . عبد الرازق حميده ، الرواية العربية فاروق خورشيد وغيرهم .

الاسطورى خاصة الحكايات التى أعتمدت فى بنيتها ومضمونها[١] على مقتبسات من العهد القديم الامر الذى يفسر تأويلات عدة مؤداها أن الاسطورة ذات طابع دينى تتصل بالعقائد ومهما يكن من شئ فإن الحكايات القصصية بأنواعها ترتبط بالاطفال وتتوجه إليهم بما يحقق النظرة الوظيفية لأدبهم وسط عالمهم الخيالى البرئ ، وفى خط موازٍ لتلك النظرة كانت الالغاز والاحاجى تلعب تأثيها وسحرها فى عقل وجدان الصغار مثلما يحققه عند أطفالنا الأدب الوعظى الحكيم من خلال الأمثال والوصايا وسنطرح فيما بعد الشواهد الشعرية للدلالة على تحديد ملامح صورة الطفل فى التراث الشعرى ، وهى غزيرة بمثل غزارة وتنوع الحكايات القصصية فى الأدب القصصى الوعظى الحكيم ، والمرجح أن الشواهد الشعرية التى أوردناها كفيلة بالرد على الآراء القائلة بأن النتاج الشعرى المورث والخاص بالطفل غير كاف بل ويزعم البعض ندرته أو عدمه – وبالتالى فلا يمكن المواضعة المصطلحية لأدب الطفل وفى الواقع ان لأدب الطفل مادته الشعرية والنثرية فى الأدب الرسمى وفى ضوء ذلك كله يمكننا القول أن أدب الطفل جنس أدبى له أصوله فى التراث العربى والاسلامى ونمط من أنماط التعبير فى الأدب الشعبى للأمة كذلك ، أما الأهداف التعليمية (التربوية) والأخلاقية حيث ينشأ ويتوجه فى سياقها فى أغلب الاحوال نتاج أدب الطفل ، فليس فى ذلك من نقص أو تقصير ، اذ لايزعم الخبير بخصائص مرحلة الطفولة أن الأوائل لم يفطنوا الى طبيعة ودرجة الفائدة أو التوجه المنشود فى أدبيات الطفل ، ويستدل على ذلك بمقولة الامام الغزالى :

(. . كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار)(*) .

فالقصص الأخلاقى أو الادب الحكيم يناسب عقل الطفل ودرجة فهمه وتصوراته وكذلك النظم التعليمى فى الشعر يحقق الفائدة(**) اما الترنيمة الغنائية فتحقق للطفل المتعة والتسلية وفرحة الحياة ، أما الرموز اللغوية والألفاظ الجزلة والثراء الضخم فى المعانى فهى تناسب الآداب الرفيعة التى تستهدف الكبار .

---

* احياء الدين ، الغزالى ، جـ ١ ، ص ٩٦ طـ دار الشعب ، د ت .

** الأدب التعليمى صفة تطلق على العلم الادبى الذى هدفه الرئيسى نقل رسالة سياسية او أخلاقية أو دينية أو علمية ، بالاضافة الى نقل الحقائق وتحقيق اللذة والتسلية · ص ١١٢ معجم مصطلحات الأدب ، د مجدى وهبه .

الباب الثالث

الفنون الشعرية التراثية والطفل

- صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى
- الطفل : شاعراً
- خيال الظل (فن شعرى / نثرى تمثيلى)
- أغانى المهد (أغانى الترقيص القصار)
- صورة مجملة

مدخل

يتعرض هذا المبحث لنشأة ومفاهيم (الأشعار القصار) القديمة فى التراث العربى ، من مثل الأراجيز وأغانى الترقيص والمقطوعات القصيرة لأن هناك علاقة جوهرية من نوع مميز يربطها – بمادتها واشكالها وخصائصها – بالعالم الأدبى للطفل ، والعلاقة الجوهرية المميزة التى أقصدها تكمن فى الوقوف عند الفروق البنائية والأدراكية بين شعر الاطفال وشعر الكبار ، والشعر العربى القديم هو الموجه فى أساسه للكبار ومن هذا الجانب حظى– وما يزال – بجهود علماء التدوين واللغه والنقد والبلاغه .

ومن نافلة القول التأكيد على طبيعة تلك العلاقة الجوهرية المميزة – التى أشرنا اليها ومدى انعكاسها على عالم الطفل . لذلك خلص الباب الثانى من البحث إلى أهمية التبسيط والمعالجة للأشكال والفنون النثرية المقدمة للطفل ، لأن معظم مضامين الحكايات القصصية التراثية غاصة بالحوداث المتشابكة من جانب ، والسرد الممل أو المخيف من جانب أخر مما يرسب فى أعماق الطفل ، تشتت الخيال ويحد من انطلاقه كما يصيب الطفل بالخوف ، وألح المؤلف الى ضرورة المعالجة البنائية أو المضمونية فى الحكايات القصصية بالاتكاء على التشويق والسرد الموجز الممتع ، والبعد عن المبالغة فى عناصر التخويف أو الوعظ التلقينى المباشر ، وإنما تنساب الغايات الوظيفية المقصودة من الحكاية فى فنية وأصالة ، إن ذلك كله هو ما يجلب المتعة والفائدة(فالتعبير فى ضوء ذلك شئ متخيل أو محسوس ندرك نحن بواسطته الاحساس لا نستنتجه)(١) .

فى ضوء ذلك يمكن القول بأنه يوجد كذلك فى الأعمال الشعرية فى الأدب العربى القديمة ما يتطلب التبسيط وإعادة المعالجة ، بالاضافة الى حتمية استقراء كتب اللغه والأدب للوقوف على حقيقة وجود الاشعار القصار القديمة الموجهة للطفل وإذا ما تم لنا ذلك وقفنا على مسلمة من مسلمات البحث مؤداها تتبع نشأة الأشعار القصار ذات العلاقة بعالم الطفل الأدبى بهدف التعرف على أصول الظاهرة موضوع الكتاب ، وإذا ما ألغينا ذلك يشكل ظاهرة من حيث"الكم والكيف" فإن بحثنا فى ضوء تلك المسلمة قد سار فى مساره الطبيعى.

---

(١) معنى الفن ، هربرى ريد ، ترجمة سامى خشبة ، ص ٢٧٥ ، ط ٢ بغداد ، ١٩٨٦ م .

ملامح تراثية :

لقد وقف القدماء * من علماء اللغة والنقد والبلاغة وتاريخ الأدب وقوفا طويلا يتسم بشمول النطرة وعمق الثقافة حول فن الشعر فتتبعوافى مصنفاتهم القيمة نشأة الشعر وتطوره ونقده ، فضمت تصنيفاتهم الدعائم الأولى فى المكتبة العربية لتاريخ الأدب ونقده ، واتسم مولفات هؤلاء العلماء بالعمق والذوق ودقة التحليل والتعليل ، ونهض الاكاديميون(**) المحدثون فى خط مواز مع المبدعين بمهمة سير أغوار التراث الشعرى بالوقوف بالوقوف عند آراء القدماء وقفات علمية منهجية تستفيد من المناهج الانسانية المطروحة ، وما يستتبع ذلك من الآخذ بالموضوعيه وأكبر قدر من المعقولية بعيداً عن الذاتية أو النظرات الضيقة التى جمدت عند مقولة أن القدماء لم يتركوا للمحدثين شيئا ، وإن قولهم الموروث هو القول الفصل فى مفهوم الشعر وأحكامه وأنواعه وتوجهاته . ولكن أهم ما نحتاج الى تعميقه فى هذا الفصل هو تحديد ملامح شعر الطفل بالوقوف عند أصوله التراثية ، باستقراء ما وصلنامنه أو وقعت ايدينا عليه من نتاج مدون من ذلك النوع الادبى تحقيقا لغرض هذا البحث الأساسى من ناحية وتمييزا لشعر الطفل المدون عن رصيفة (أغانى اللعب) الدائرة فى فلك الادب الشعبى من ناحية أخرى .

من الثابت أن علماء اللغة العربية القدامى لم يذكروا صراحة فى مؤلفاتهم اللغوية والأدبية أو العامة ما يشير الى تعريف محدد أو مفهوم مالأدب الطفل شعره أو نثره ؛ بالرغم من وجود النتاج الادبى الذى يخاطب عقل الطفل ووجدانه فى بطون كتب اللغه والأدب ، ولم يضع – كذلك – هؤلاء العلماء من النقاد اية مفاهيم أو تعريفات اصطلاحية لأدبيات الطفل فى اطار شروحهم وتعليقاتهم وذكرهم للآراء والاحكام البلاغية والنقدية عبر تاريخ الادب العربى... .

---

* لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزى والمرزوقى ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، الموازنه للآمدى ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، العمدة فى صناعة الشعر نقده لابن رشيق ، الوساطه بين المتنبى وخصومه للجرجانى ، الخصائص لابن جنى ، لسان العرب لابن منظور وغيرها

** انظر على سبيل المثال مؤلفات : ارسطو عند العرب د . عبد الرحمن بدوى . . النقد المنهجى عند العرب ، د . محمد مندور ، الفن ومذاهبة فى الشعر العربى ، د . شوقى ضيف ، أثر القرآن فى تطور النقد العربى د . زغلول سلام ، حديث الاربعاء ، من حديث الشعر والنثر ، فى الادب الجاهلى ، د . طه حسين ، لغة الشعر د . محمد رجاء عيد ، الشعر العربى المعاصر د . الطاهر مكى ، الادب وفنونه ، د . عز الدين اسماعيل وغيرهم .

والمرجح أن ذلك مررور الى أسباب أدبية واجتماعية ، فمن الأسباب الاجتماعية لإهمال القدامى أدب الطفل : الرواسب الباقية من النظرة العربية الجاهلية تجاه الطفل فهو ، الصغير فى مداركه ووضعيته الاجتماعية كعضو فى الهيئة الاجتماعية . وبمجئ الاسلام تغيرت تلك النظرة الموروثة عن المفاهيم القبلية واستتبع ذلك بدا النظام الاجتماعى يلتفت اليه ويحنو عليه ويرعاه ، وبلغ الإهتمام بالطفل العربى ذروته فى بيوت الخلفاء والأمراء والقادة والاعيان إبان الحضارة الاسلامية فظهرت طبقة(*) من المعلمين والمؤدبين - كتابا أو شعراء - للنهوض بمهمة الأدب التهذيبى للطفل بالاضافة الى النظام التعليمى بمناهجه والذى شمل الناشئين فى الامة .

وقد يردد قائل أن العرب كانت لا تحتفل إلا بقدوم غلام يولد(يدافع عن القبيلة - من بعد - فضلا عن كونه غلام ولد (ذكر) فيه نظرة جاهلية قديمة وفرس تنتج(الوفرة فى عدة الحرب والأسفار) وشاعر ينبغ (ليشيد فى شعره بالقبيلة فخرا وحماسة) .

فالمقصود من سياق المقولة التى اوردها ابن رشيق فى مستهل كتابه"العمدة" ليس إيجاد العلاقة بين الطفل والشعر، وإنما احتفاء القبيلة بالغلام والفرس والشاعر على نحو ما ذكرنا ، ومن الاسباب الاجتماعية ايضا توفر الأمهات والجدات والجوارى والمربيات(فى فترة الطفولة المبكرة) على تربية الطفل وما صاحب ذلك من قيامهن بالدور التربوى فضلا عن تسلية الطفل بالغناء له وترقيصه على إيقاع المنظومات الخفيفة أو المأثورات الشعبية ، وبالتالى عزف الشعراء والنقاد على الابداع للطفل بنوع خاص فى الأدب الرسمى بدرجة ملحوظة أو لأغراض مقصودة ، لذلك لم تتشكل لنا فى النهاية المواضعة المصطحية"لديوان الطفل" أو الظاهرة الفنية المستقلة لجمع ابداعاته أو تفسيرها .

ومن الأسباب الادبية أدت الى أحجام المبدع العربى القديم عن ابداع شعرى للطفل يتسم بالغزارة والاصالة والتنوع هو قيد القاموس اللغوى ونعنى به القاموس اللغوى للشاعر العربى القديم المملوء بالوعورة والبداوة ولم يلن أو يرق هذا القاموس إلا مع الشعر

(*) من مثل : عبد الرحمن عبد الصمد بن عبد الاعلى ، الضحاك بن مزاحم ، عامر الشعبى عبد الله بن المقفع ، على ابن حمزة الكسائى ، خلف الاحمر ، سليمان الطلبى أحمد بنى سعيد الدمشقى وغيرهم .
والمؤلفات التربوية ابان الحضارة الاسلامية غاصة بذكر اخبارهم مثل مؤلفات . البلاذرى، ابن مسكوية القابسى ، الغزالى ابن خلدون وغيرهم .

الاسلامى الذى واكب ظهور الاسلام بينما لازم تلك الصعوبة فى الشعر الجالى علامات البعد عن المألوف واسترفاد الفاظ معجمية غير مستعملة فى الحياة والدوران حول دائرة الألفاظ البدوية على ما فيها من وحشية وغرابة وإبهام وغيرها .

والطفل فى مراحل نموه اللغوى والعقلى يميل الى التعرف على المعطيات المحسوسة المحدودة بالبيئة ثم يتطور هذا التعرف الى خيال يقترب من اكتشاف الواقع ومن ثم لا يقدر الطفل على متابعة جزالة اللفظة وغرابتها ، بأعتبارها مع رصيفاتها من الالفاظ الخارجة عن محيط فهمه وإدراكه ، كما لا يقدر الشاعر على الفكاك من (اسار) قاموسها اللغوى المغرق فى البيئة بمعناها الواسع ، والمعجم بأصوله اللغوية نادرة الاستعمال – أو الابداع الشعر المحكم فى لغته وصوره وأخيلته وأغراضه .

أما الاغراض الشعرية التى تناولها الشعر العربى القديم ، فكانت هى الاخرى بمثابة حدود لا يستطيع الشاعر تجاوزها ، كى يستقل الشعراء بأدب للطفل بمعناه التعليمى أو التهذيبى أو الوجدانى لذلك وجدنا ولع الشعراء بالمديح والهجاء والرثاء والغزل والوصف والفخر ، الحماسة والطرديات ، أما الاشعار القصار وأغانى الترقيص والمنظمات الشعرية السهلة فلم تكن فى دائرة أهتمام جل الشعراء وإن إهتم بها بعض الشعراء والرجاز على نحو سنوضح من بعد وقد يقول قائل ان العديد من شعراء العربية قد خصوا الانباء بقصائد شعرية أو كتبوا فى "رثاء الابناء" منظومات شعرية ، فهو إذاً من الإبداع الشعرى فى مجال ادبيات الطفل ، والرد على تلك المقولة نذكر:أن الابداع الموجه "للطفل" يختلف عن الابداع "عن الطفل" أو النتاج المعرفى عنه وفى ضوء ما تقدم سيقف هذا الباب عند جذور ونصوص من الفنون الشعرية ذات العلاقة بالطفل فى التراث العربى والأسلامى من مثل:

الامهودات (أغانى المهد) أو أغانى الترقيص ، والاناشيد والمنظومات القصيرة والأراجيز والمقطعات الشعرية التى تدخل فى دائرة أدبيات الطفل

صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى

لقى الطفل العربى من الاوائل أوجه الرعاية والعناية فى الاعداد البدنى والعقلى والوجدانى تنشئة وتربية ففى الحديث"ريح الولد من الجنة"وقال ﷺ للحسين والحسن (..وأنكم ريحان الجنة)(١) .

وسبق أن أفردنا فى سياق عرض المفاهيم اللغويه والاصطلاحية للطفولة أو الناشئة . أنها تعنى إنشاء الصغير حالاً فحالاً إلى حد التمام . قال عز من قائل :﴿أو من ينشئوا فى الحلية﴾ الآية ١٨ سورة الزخرف . فالناشئ والنشأة وأحداث الشئ وتربيته ورعايته جميعا.

فالطفل فى ضوء ذلك هو المأخوذ بالحنو والتربية والتعليم والتثقيف من مهده الى ان يبلغ الحلم .

والأدب نثره وشعره من أخص العوامل الوجدانية فى تهذيب الطفل وترقية مشاعره والشعر من الاجناس الادبية التى أسهمت وما تزال، فى التربية الوجدانية للطفل العربى، وانطلق فن الشعر بأراجيزه ومقطعاته القصيرة يشكل البناء الروحى فى وجدان الطفل ، فالمنظومات الشعريه اتكأت على العامل التعليمى كعامل حاسم يعقب مرحلة الترقيص والتطريب التى كان يتلقاها الأطفال فى مهدهم .

ولا يضير شعر الطفل أنه نظم تعليمى – فى أحدى مقاصده – وإن نماذجه فى معظمها تهدف الى تلقين القيم ، وأنه يحمل بين أغراضه التعاليم الدينية وانها جميعا من الدعائم الايجابية التى يتشكل من فوقها البناء المتكامل للانسان الذى نستهدفه ،ففى المستقبل بأمكان ذلك الكائن الصغير الذى اكتسب وتذوق قدرا من الشعر التعليمى أو التهذيبى أن يتعامل مع الأدب بمضمونه المتنوع ومستوياته اللغوية والفنية الراقية .

(١) ثمار القلوب للثعالبى ، ص ٦٩٦ ، ينظر مرجع سابق (تخريج الحديث) .

وقد روى عن النبى أنه قال : لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ويروى عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة ﵂ : أن النبى ﷺ بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبرا ينشد عليه الشعر .. وقال عمر بن الخطاب ﵁ الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه . وكتب الى أبى موسى الاشعرى : مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الاسباب . قال معاوية : يجب على الرجل تأديب ولده والشعر على مراتب الادب) (١) .

ولم تكتف العرب برواية الشعر وإنشاده وتعليمه فى المجالس والمحافل وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليما وكانت توزع الصحف على الصبيان فى المكتب ليتعلموه ويرووه ، وفى ظل الاسلام ازداد اهتمام الخلفاء والامراء والقواد بتعليم الأولاد الشعر وروايته ، وقد أفاض فى تفصيل ذلك د . ناصر الاسد فى كتابه مصادر الشعر الجاهلى ووثق مقولة من مصادر القرون الهجرية الاولى فى مظانها الأولى ، ومنه مقولة عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أرو لهم الشعر يمجدوا وينجدوا (*) وبرغم أن ارسطو هو أول من حاول فصل النظرية الجمالية عن النقد الأخلاقى ، فإن نظريات العرب القدماء كانت تنسب للشعر الأهداف الأخلاقية والتعليمية بالاضافة الى الأهداف الاخرى للشعر فى طبقته العالية وقيمته الفنية الراقية ومن قبل اشار ابن خلدون فى مقدمته الى أهمية الأدب التعليمى وإلى ما قالت به العرب ، فى هذا الشأن ، لما له فائدة فى تنمية الطباع والملكات وهى لا تنمو فيما يرى ابن خلدون الابالتلقين والتكرار وعبر عن مذهب إتجاه الأوائل فى تأديب الناشئين وتهذيبهم فيقول:(ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده الأمين فقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليكم مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبه . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ، وروه الأشعار وعلمه السنن ، بصره بمواقع الكلام وبدئه ..)(٢) ويوكد ابن خلدون

*تكاد تجمع المؤلفات العربية فى مصادرها الأولى على ضرورة تعليم الأنباء الشعر وتلقينهم مقطوعاته وروايته كذلك ، باعتبار الشعر مثير للعاطفة ومحرك للوجدان من ناحية ، وعامل حاسم من عوامل النمو اللغوى من ناحية أخرى لمزيد من التفاصيل حول فكرة تعلم الشعر وروايته انظر : السيرة لأبن هشام الاغانى للاصفهانى ، الشعر والشعراء لأبن قتيبه ، العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق طبقات فحول الشعراء لابن سلام وغيرها . من كتب التربية الاسلامية : تاديب الناشئين بادب الدنيا والدين لابن عبد ربه ، أيها الولد المحب للامام الغزالى ، مقدمة ابن خلدون لابن خلدون وغيرها .

(١) مصادر الشعر الجاهلى ، د . ناصر الدين الاسد ، ص ١٩٩ .

(٢) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، جـ ص ١٢٥ .

على أهمية تنمية الملكات اللغوية عند الاطفال الى أن تتأصل فيهم عن طريق التلقين اللغوى وتكرار الاستعمال ، وهى رؤية ثاقبة فى مجال النمو اللغوى عند الطفل – أثبتها – غير مرة نتائج بحوث علم النفس اللغوى المعاصر .

فالملكات اللغوية تصير طبعا عند الطفل والطبع لاينمو إلا بتكرار الافعال وقول ابن خلدون" أعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة اذ هى ملكات فى اللسان للعبارة عن المعانى، وجودتها ومقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها . . يسمع الصبى استعمال المفردات فى معانيها ، فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم ، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل الى جيل ، وتعلمها العجم والاطفال ، وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة العرب بالطبع أى بالملكة الاولى التى أخذت عنهم ، ولم يأخذون من غيرها)[1] . ومنه قول عائشة ﷺ (رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم)[2] وأزعم أنها النزعة الدينية فى إطارها التربوى والاخلاقى فى الشعر العربى المورث ، وبخاصة الأشعار القصار الموزونةَ للصغار قد تمحورت عند بناء اللغة فجاءت النماذج التراثية لشعر الطفل – أو حتى فى الاشعار المكتوبةَ عنه – فى ألطف معنى وأوجز عبارة واسهل لفظ وأقصر بحر عروضى .

ومن الاشياء المألوفة أن التطور الاجتماعى والحضارى فى البيئة العربية فى ظل الحضارة الأسلامية اسهم الى حد كبير فى التشكيل اللغوى وفى الصورة الشعرية كذلك ، يقول الجرجانى (فلما ضرب الأسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادى الى القرى وفشا الأدب والتظرف أختار الناس من كلام الناس ألينه وأسهله، وعمدوا الى كل شئ ذى أسماء كثيرة أختاروا سمعا ، وألطفها من القلب موقعا)[3] فى ضوء ما تقدم فى امكاننا القول بأن الاغراض الشعرية الكبرى فى الشعر العربى القديم تتنوع وتتعشب فى اطر جديدة بتطور الحضارة الجديدة فى مرحلة أثر مرحلة ويبدأ الشاعر يتخلص بالتدريج من آثار القصائد الطوال ، وبخاصة القيود التقليدية فى مطلع

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٠٨ ط دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .
(٢) السابق ، ص ٥٢٢ – ٥٢٣ .
(٣)الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للجرجانى ، ص ١٨ .

القصائد من البكاء على الرسوم والتشبيب والنسيب وغيرها ، وتحول الشاعر الى أغراض جديدة واكبت التطور الحضاري - وقتذاك - من مثل : الشعر السياسي ، الشعر الديني(الصوفي والاخلاقي) ، الغزل (المتجدد من مثل الغزل بالمذكر) والوصف المتجدد (للمنتجات الحضاريه كالادوات والصنائع المستحدثة) والشعر التعليمي والوعظي وغيرها

أما الاساليب اللغوية فهي الوعاء الذي حمل الافكار والمضامين الجدية فمالت الأساليب إلى السهولة والايجاز واستعمال المألوف من معطيات البيئة الحضارية الجديدة ، وفي مجال أدبيات الطفل لجأ الشعراء الى استعمال اسلوب الخطاب الحواري وهم يكتبون قصائدهم في أولادهم وفي العتاب أو الرثاء وغيرهما من الاساليب المتجددة لغة وفنا . فقد يجري بعض الشعراء حواراً بينهم وبين ابنائهم ويتحدثون معهم ويبادلونهم الحديث وهذا اكثر وقعاً من الخطاب الذي من وجهة واحدة ، وقد أسماه النقاد بالمراجعة . يقول ابن حجة الحموي : منهم من سمى هذا النوع السؤال والجواب وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وألطف معنى وأسهل لفظ)(١) .

ومنه قول ابن الرومي في قصيده له عن ابنه :

أريحانه العينين والأنف والحشا ... ألا ليت شعري هل تغيرت عن عهدي
كأني ما استمعت منك بضمة ... ولا شمة في ملعب لك أو مهد (٢)

ويلتقط المؤلف هذه المحاورة أو "المراجعة" التي قال بها ابن حجة الحموي ، نقلا عن ديوان الصنوبري ، الذي يحاور وحيدته ليلى فيقول :

يا أبنتي ، أين غبت عن ... رمضان وقد حضر

---

(١) خزانة الادب لابن حجة الحموي ، ص ١٢٤ .
(٢) ديوان الصنوبري ، تحقيق ، د ، احسان عباس ، ص ١٠٢ ، ط .

ولقد كنت انسنا ... فى عشاياه والبكر
ولقد كنت بعت نو ... م لياليه بالسهر
واعكتاف على الدعا ... ء او الدرس للسور

ترد عليه ليلى :

يا أبى ليس عندمن ... مات علم ولا خير
لاهلال الصيام يرعى ... ولا الفطر ينتظر
لافطور ولا سحو ... رلنا أن دنا السحر
درست يا أبى المحا ... سن وانمحت الصور (١)

ومنه ايضا استعمال الاسلوب الواحد فى خطاب شعرى 'ومنه ما كتبه اميه بن ابى الصلت (*) يعتب على ابن له فيذكر :

غذوتك مولودا وعلتك يا فعا ... تعل بما أدنى اليك وتنهل
اذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت ... بشكواك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى ، وعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك، وإنها ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيك أومل
جعلت جزائى منك جبها وغلظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذا لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل
وسميتنى بأسم المفند رأيه ... وفى رأيك التفنيذ لو كنت تعقل
تراه معداً للخلاف كأنه ... يرد على أهل الصواب موكل

---

(١) ديوان الصنوبرى ، للصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس ، ص ١٠٣ ، ط.
* أمية بن ابى الصلت الثقفى ، شاعر مخضرم : انظر شروح الحماسة : المنتخب من أدب العرب جـ ٤ ص ٩٣ – ٩٤ ط الاميرية ١٩٤٤ .

لقد ألمحنا بذكر الامثلة السابقة من المقطوعات الشعرية ؛ إظهار الاسلوب التعبيرى فى اللغه الشعرية فى الكتابه (عن) الطفل ، أما الكتابة للطفل بوجه خاص فسيعرض لها هذا المبحث بشئ من التفصيل لرصد ظاهرة وجود نصوص عربية مدونه حول شعر الطفل بين ثنايا كتب اللغة الادب ، والأغراض الشعرية فى شعرنا العربى لم تترك عالم الطفل دون الحديث عنه ، حقا ان حديث القدامى من شعراء العربية عن الأولاد كان يجئ عرضا فى قصائدهم الطوال فى اغلب الأحيان ، ولكننا نستطيع أن نلتفت الى مقطوعات شعرية متفرقة أو أبيات متناثرة فى ذخائر التراث ، ومن هنا تقدر على رصد وجود الأبناء فى الاغراض الشعرية الكبرى لشعرنا القديم ، ومن أهم الاغراض التى تناولا الشعراء فى صدد حديثهم عن الولد : الرثاء (*) والعتاب والفخر والحث على العلم والتهذيب بمكارم الأخلاق فالأولاد عند شعراء العربية القدامى هم قرة العين ، ومهجة النفس وطيور جنان الخلد ، ولذلك تنوعت تلك الاغراض ومنه سنطوف حول حديقة الادب الموروث نختار شواهدنا الشعرية ، فحاتم الطائى يعمق خاصية الكرم عند غلامه :

أو قد فإن الليل ليل قر والريح باغلام ريح صر
عل يرى (نارك) من يمر أن جلبت ضيفا فانت حر

ومنه قول لبيد فى الفخر :

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما إليه كهلها وغلامها

ومنه أيضا هذا البيت الشهير لباشمة بن حزن النهشلى :

وليس يهلك منا سيد أبدا الا افتلينا غلاما سيدا فينا

* افاض العديد من أهل الأدب عبر تاريخ الادب العربى فى نظم القصائد وتحبير المؤلفات فى رثاء الابناء ، وتزخر المكتبة العربية بمخطوطات نادرة حول الاشعار التى نظمها الاباء او الشعراء فى وفاة الابناء أو الاولاد ، منها سلوة الحزين فى موت الذرية ، والجلد عند فقد الولد ، وكلاهما ، للسيوطى وغيرها وقد خص الباحث الاردنى د . مخيمر صالح اطروحته للدكتوراه لموضوع " رثاء الابناء فى الشعر الى نهاية القرن الخامس الهجرى انظر الاطروحة مطبوعة نشر جامعة اليرموك، الى الاردن ١٩٨١ .

وفى جانب الفخر يقول عمر بن كلثوم فى معلقته :(١)

ألا يــجــهــلــن أحــد عــلــيــنــا فــنــجــهــل فــوق جــهــل الجــاهــلــيــنــا
اذا بلــغ الــرضــيــع لــنــا فــطــامــا تــخــر لــه الجــبــابــر ســاجــديــنــا

وغير هذا الفخر القبلى ، تقول اعرابية فى رثاء ابنالها :

تــركــتــنــى فــى الــدار لــى وحــشــة قــد ذل مــن لــيــس لــه نــاصــر

ومنه ايضا رثاء اعرابى فى ولد له :

سأبكيك ما هبت رياح من الصبا وما طلعت شمس وما ضاء كوكب

ومنه قول الصنوبرى :(٢)

كنت القرير العين اذا كنت لى تحــلــو احــاديــثــى واخــبــارى
وكــان شــعــرى يــتــغــنــى فأستحسنت للنوح أشعارى

وصاحب العقد الفريد فى ذلك يذكر :(٣)

أفرخ جنان الخلد طرت بمجتى وليس سوى قصر الضريح له وكر

ويقول ابن الرومى :

وأولادنــا مــثــل الجــوارح أيــهــا فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لــكــل مــكــان لايــسـد اخــتــلالــه مــكــان أخــيــه مــن جــزوع ولا جــلــد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه أم السمع بعد العين تهدى كما تهدى(٤)

---

(١) فى تاريخ الادب الجاهلى ، د . على الجندى ، ص (٥٠) دار المعارف ١٩٨ م .
(٢) ديوان الصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس ، ص ١٠٠ بيروت ١٩٧٠ م .
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .
(٤) ديوان ابن الرومى ، تحقيق ، د . حسين نصار ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، طـ دار الكتب ١٩٧٣ م .

ولو انتقلنا لى لون اخر من الالوان الشعرية التى عبر عنها الشعراء القدامى عن وصف أحوالهم تجاه الأبناء ، سنجد مثل هذه القصة الشعرية الطريفة فى المستطرف :

أحـب بـنـيـتـى وودت أنـى   دفـنـت بـنـيـتـى فـى قـاع لحـد
وما بى أن تهون علـى لكن   مخافة أن تذوق الذل بعدى
فـان زوجـتـهـا رجـلا فـقـيـرا   أراهـا عـنـده والـهـم عـنـدى
وان زوجـتـهـا رجـلا غـنـيـا   فـيـلـطـم خدهـا ويـسـب جـدى
سـألـت الـلـه يـأخـذهـا قـريـبـا   ولـو كـانـت أحـب الـنـاس عـنـدى

ومن خشية الوالد على المستقبل الذى ينتظر ابنته، نلحظ الاهتمام العاقل بالأولاد فى حكمة مقرونة بالسعادة التى تلفهم ، وفى ذلك يقول بن الجهم القرشى :

من وراء الشباب شيب حثيث الـ   ـسير والليل مزعج بنهار
ومع الصحة السقام وحال الـ   ـعز مقرونه بحال الصغار

ولعل ضادية حطان بن المعلى خير ما عبر به الشعراء القدامى عن منزلة الطفل والحنو عليه والرعاية له : يقول حطان بن المعلى :(*)

أنـزلـنـى الـدهـر عـلـى حـكـمـه   مـن شـامـخ عـال الـى خـفـض
وغـالـنـى الـدهـر بـوفـر الـغـنـى   فـلـيـس لـى مـال سـوى عـرضـى
أبـكـانـى الـدهـر ويـا ربـمـا   أضـحـنـى الـدهـر بمـا يـرضـى
لـولا بـنـيـات كـزغـب الـقـطـا   ردّدن مـن بـعـض الـى بـعـض
لـكـان لـى مـضـطـرب واسـع   فـى الارض ذات الـطـول والـعـرض
وأنمـا أولادنـا بـيـنـنـا   اكـبـادنـا تمـشـى عـلـى الارض

(*) اللالت للنظر فى شرح ديوان الحماسة، للمرزوقى ، جـ ١ . ص ٢٨٥ ، الحماسية ٨٦ وينقصها البيت السابع والخير من الحماسية .   ولو مرت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى عن الغمض
وينسب المرزوقى الابيات لخطاب بن العلى "اما خطاب بن العلى ففيه تصحيف وحطان بن المعلى شاعر اسلامى من بنى مخزوم فهو مخزومى قرشى .

وابن الرومى عقد مزاوجة رائعة بين الربيع والأبناء فيذكر :

وريـاض نـخـايـل الأرض فـيـهـا خـيـلاء الـفـتـاة فـى الابـراد
مـنـظـر مـعـجـب ، تـحـيـة أنـف ريـحـهـا ريـح طـيـب الاولاد(١)

وفى مجال الاعتذار والاستعطاف كتب الحطيئة هذه الأبيات وأرسلها من سجنه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان قد أمر بسجنه لهجائه أمه وأبيه وإمرأته ، وفى أبيات جمعت بين الاعتذار والاستعطاف بالاطفال أرسل يقول:(٢)

مـاذا تـقـول لأفـراخ بـذى مـرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فأغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه القت اليك مقاليد النهى البشر
مـا آثـروك بـهـا إذ قـدمـوك لـهـا لابل لأنفسهم قد كانت الاثر

ومن الذين عبروا عن ائتلاف العلاقة بين الشعر والطفل : ابن رشيق القيروانى فى أدبيات تقول :

الـشـعـر شـىء حـسـن لـيـس لـه مـن حـرج
فـعـلـمـوا اولادكـم عـقـار طـب المـهـج (٣)

وتكاد تجمع المنظومة الشعرية السابقة (وظائف الشعر) الذى نستهدف تعميق مفاهيمه وتوجيهاته لاستثارة العوامل الوجدانية عند الاطفال فالبيت الاخير من المقطوعة القائل فى بساطة واضحة :

فـعـلـمـوا اولادكـم عـقـار طـب المـهـج

(١) ديوان ابن الرومى ، تحقيق د . حسين نصار ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، دار الكتب ١٩٧٣ م .
(٢) المستطرف من كل فن مستظرف ، للابشيهى ، جـ ٢ ص ١٠ ، طـ دار الفكر القاهرة . د . ت .
(٣) العمدة لابن رشيق ، ص ٣٥ . .

نلاحظ أنه يسلمنا فى رفق الى تحقيق النظرية الوظيفية من أدب الطفل : تعلم وتذوق وبناء للوجدان . على جانب آخر من الأغراض الشعريةَ المستحدثة المنظومات التعليمية التى أحسن بها الشاعر العربى القديم فى إطار التحول الاجتماعى والحضارى العربى ، ويقول الشاعر مشيرا الى الادوات (المحلات) ، وسميت المحلات لانها من كانت مع الانسان حيثما حل وارتحل :

ان المحلات ست فاسمعن لها … الزند والدلو والسكين والفأس
والقدر والزق لاتبغى بها عوضا … فحيث ما كن كان الناس والبأس[1]

ومنه ما يحمل العظة من مثل قول بديع الزمان الهمدانى :

ويحك هذا الزمان زور … فلا يغرنك الغرور
لا تلتزم حاله ولكن … در بالليالى كما تدور [2]

ومنه أيضاً يقول الصاحب بن عباد :

الزم الصدق انه … حيلة العلم والادب
كذب المرء شينه … لعن الله من كذب [3]

وتوسع القدماء من رجاز وشعراء وعلماء اللغة فى نظم العظات والنصائح فى أسلوب شعرى يحمل القيم الأخلاقية فى إطار الادب التهذيبى يقول الشاعر [4]

يا مغرقا فى أدب الدرس … أفضل منه أدب النفس [5]

وقديما وصى (يعرب قحطان) أولاده فقال :

بنى أبوكم لم يعد عما … به وصاه قحطان بن هود
فوصاكم بما وصى أباكم … ابوه عن ابيه عن الجدود
انيعوا العلم ثم تعلموه … فما ذوا العلّم كالكل البليد

---

(١) محاضرة الاخيار ومسامرة الابرار ، لابن عربى ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .
(٢) بديع الزمان الهمذانى ، مارون عبود ، والمقامة القريضية ص ٧٧ ، دار المعارف ١٩٦٧ م .
(٣) ثمار القلوب ، للثعالبى .
(٤) السابق نفسه .
(٥) السابق نفسه .

ومنه قول طرفه بن العبد :

اذا كنت في حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه
وانا ناصح منك يوما دنا فلا تنأ عنه ولا تقصه
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحصه

ومنه نصيحة سيفان بن عيينه لولده :

بني ، ان البر شئ هين وجه طليق وكلام لين

أما عبده بن الطيب فيعق في وصيته لاولاده الحكمة فيذكر:

أوصيكم تقوى الأله فإنه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

ومنه أيضا وصية "سبيعة بنت الأحب بن عيلان" لابن لها تعظم عليه حرمة مكة فتذكر:
وهى تنصحه بتلك الابيات :

ابني لايظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بني ولايغريك الغرور
ابني من يظلم بمكة يلق اطراف الشرور

فى الحث على الجد بهدف المجد يقول عمر بن الاهتم :

وان المجد أوله وعور ومصدر غبه كرم وخير
وانك لن تنال المجد حتى تجودبما يضن به الضمير(١)

ومحبة الاطفال والعطف عليهم والحرص على حاضرهم وتأمين مستقبلهم من أهم الجوانب التى التفت إليها كذلك ديوان الشعر العربى ، وقد كشفت "ضادية" حطان بن المعلى ، "ولامية " أمية بن الصلت ، وقصائد الرثاء وغيرها من الأغراض التى تناولت الأطفال عن أهتمام بالغ بالأبناء فى ديوان الشعر العربى ، وبين يدى المؤلف خاصية أخرى يطرحها فى هذا المجال وهى إظهار الشاعر العربى المسلم لمفهوم المحبة والحنو والعطف

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ١ ص ٦ –

على"البنات" لان البنات أحوج من الصبيان الى الرعاية والعطف نظرا لانهن خلقن بحاجة متصلة الى الحماية والرقة والحنان من الابوين بل ومن المحيطين بهن جميعا.

قال عز من قائل "وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا" .

وقد غنى من الشعراء العرب للبنات ، يقول الشاعر الاسلامي اسحاق بن خلف في مقطوعة طريفة :

لولا (أميمة) لم اجزع من العدم   ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى   أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما ان يلم بها   فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتى ، واهوى موتها شفقا   والموت أكرم نزال على الحرم
اخشى فظاظة عم ، أو جفاء أخ   وكنت أبقى عليا من أذى الكلم (١)

وعندما كتب قطرى بن الفجاءة الى ابن خالد القنائى يستدعيه لمشاركته قتال رجال الخوارج للدولة الاموية ، اعتذر اليه فى الابيات التالية فيذكر(٢)

لقد زاد الحياة الى حبا   بناتى ، أنهن من الضعاف
أحاذر ان يرين الفقر بعدى   وان يشربن رنقا بعد صافى
وان يعرين إن كسى الجوارى   فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى   وفى الرحمان للضعفاء كافى
أبانا ، من لنا ان غبت عنا   وصار الحى بعدك فى اختلاف

وقال إعرابى لعمر ابن هبيرة الفزارى يستعطفه رعاية أولاده الفقراء من فيض ثروته فيذكر :

أصلحك الله قل ما بيدى   فما أطيق العيال إذا كثروا
رجوك للدهر ان تكون لهم   غيث سحاب ان خانهم مطر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ١ ، ص ١٦ .
(٢) المفضليات . للمفضل الضبى ، ص ٤٩ .

وفى معنى ذلك انشد الرياشى هذا البيت لأعرابى :

زينـهـا الـلـه فـى الـفـؤاد كـمـا ... زيـن فـى عـيـن والـد ولـد

ومن الصور الشعرية الطريفة التى انشدها أبو فرعون الساسى فى أطفاله يقول مرتجزا وهو يصور البؤس الذى يعيشونه * :

وصـبـيـة مـثـل صـغـار الـذر ... جـاءهـم الـبـرد وهـو بـشـر
بـغـيـر قـمـيـص وبـغـيـر أزر ... وبـعـضـهـم مـلـتـصـق بـصـدرى
وبـعـضـهـم مـلـتـصـق بظـهـرى ... وبـعـضـهـم مـنـحـجـر بـحـجـرى
اذا بـكـوا عـلـلـتـهـم بـالـفـجـر ... حـتـى اذا لاح عـمـود الـفـجـر
ولاحت الـشـمـس خـرجـت أسـرى ... عـنـهـم وحـلـوا أصـول الجـدر

كـأنـهـم خـنـافـس فـى حـجـر(١)

وقالت ام ثواب الهزلية فى ولد لها :

ربيتـه وهـو مـثـل الـفـرخ أعـظـمـه ... أم الـطـعـام تـرى فـى ريشـه زغـبـا

وليس أدق مما صور الشاعر العربى فى ضرورة وفاء الأبناء للآباء ، وعن دوام الصلة وفعل الخير يقول ابو رياط لأبنه مما ورد فى شروح الحماسة :

رأيـت (ريـاط) حـيـن تم شـبـابـه ... وولـى شـبـاب لـيـس فـى بـره عـتـب
اذا كـان اولاد الـرجـال مـرارة ... فـأنت الحلال الحلو - والبارد العذب
لـنـا جـانـب مـنـه انـيـق وجـانـب ... شديـد عـلـى الاعداء مـركـبـه صـعـب
وتـأخـذه عـنـد الـمـكـارم هـزة ... كما أهتز تحت البارح الغصن الرطب

---

* لعل مثل ينفق والدعوة المعاصرة لتنظيم الإنجاب فى الأسرة ، فالثمرة أبناء أصحاء .
(١) الشعر وطوابعه الشعبية ، د . شوقى ضيف ، ص ٨٩ .

وقيل للاصمعى ما معنى قول أمية بن ابى الصلت :

وما ذاك إلا الديك شارب خمرة ... نديم الغراب لايمل الحوانبا
فلما استقل الصبح نادى بصوته ... ألا من غرب هل رددت ردائيا

فقال الاصمعى :(ان العرب كانت تزعم ان الديك فى الزمان الأول كان ذا جناح يطير فى الجو وأن الغراب كان ذا جناح الديك لا يطير به ،وانهما تنادما ليلة فى حانة يشربان فنفذ شرابهما فقال الغراب للديك ، ولو اعرتنى جناحك لايتنك بشراب ، فأعاره جناحه فطار ولم يرجع ، فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الفجر استدعاء لجناحه من الغراب)(١) ومن الطرائف الشعريةً ذات العلاقة بعالم الطفل هذا الموقف النادر الذى يحكيه الشاعر العربى الحُطيئة فى حواريةً بينه وبين ولده الصغير ، ومن قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل ... بيداء لم يعرف بها ساكن رسما

فالحطيئة وأولاده لم ينوقوا طعاما منذ ثلاث ليال ، وقد عصب بطنه من الجوع وحينما رأى شبحا ضعيفا من بعيد كثر همه وحزنه :

وقال :

راى شبحا وسط الظلام فراعه ... فلما رأى ضيفا تشمر وأهتما
هيا رباه ضيف ولا قرى ... بحقك لا تحرمه تالله الليلة اللحما

ثم يأتى موقف ابنه على هذا النحو :

فقال ابنه لما رآه بحيرة ... آيا ابت اذبحنى ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذى ترى ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

ويهم الحطيئة بذبح ولده ، كأنه يسترفد ، قصة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام – لولا أن رأى قطيعا من الاتن الوحشية عن بعد كأنما ارسلتها العناية الألهية فداء للصبى)(٢)

ولم تغفل الحضارة الاسلامية أهمية المنظومات الشعريةً التربوية للطفل يقول ابن سينا

---

(١) الاصمعى د . احمد كمال ذكى ، ص . ١٥٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٢) الاصمعى ، د . احمد كمال ذكى ، ص ٣١٦ .

فى كتابه السياسة :(من الضرورى البدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام). وما رواه الجاحظ فى البيان والتبين : (. .. علموا أولادكم العوم والفروسية ، ورووهم ما سار من المثل وما حسن من الشعر . . نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم) واحث الطفل العربى على اتقان ملكة من ملكات وصنعه من الصناعات قال الملهب لبنيه :(يابنى لا يقعدن احدكم السوق ، فان كنتم فاعلين فالى زراد او سراج او وراق)(١)

وكانت مظاهر الحفاوة بالطفل العربى تبدو جلية فى الاتجاه الوجدانى بدرجة تفوق الاتجاه العقلى الى حد ما ، ومن ذلك نلحظ دوران النظرية التربوية الاسلامية حول الاطار الوجدانى فى العقيدة والاخلاق فى منهج يقترب من الاتجاه العقلى ، والأدب ديوان العرب عمق ذلك المفهوم بتأثيراته الوجدانيةً ، ومنه أن كان الطفل يذهب الى المكتبات (الكُتّاب) وسنه قريب من السابعة ثم يقضى ما يقرب من ثلاث سنوات أو اربع فى استظهار القرآن والوقوف على اصول الدين وتعلم بعض مبادئ اللغه والشعر . . . وقد لاحظ "أن تمارين الكتابة التى كانت تعطى للتلاميذ كانت من الشعر يقول ابن سينا فى ارجوزة طويلة حول الطفل :

ناغية بالاصوات فى تعلم ... كيما تدربه على التكلم
وأمنعه أن يقصد أو أن يُسالا ... حتى تراه يفعه قد إعتلى

والارجوزة غاصة بالنصائح المقصودة لتهذيب الابناء وغرس الخصال الحميدة فى نفوسهم وهى على طولها(تقع فى الف وثلاثمائة وست وعشرين بيتا) تعمق العادات المحمودة والآداب السليمة عند الطفل بأسلوب تعليمى موجه . . كأنما عبر الفلاسفة عن ترجمتهم للنظرية الأسلامية فى التربية والتى تتمحور حول العقيدة والأخلاق وفى الحديث ما يوافق تلك الرؤية الدينية والاخلاقية .

"وانما الشعر كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح"(٢) وفى ذلك قال المتنبى :

وما الحسن فى وجه الفتى وشرفا له ... اذا لم يكن فى فعله والخلائق

---

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ جـ ، ص ١٨٠ .
(٢) انظر نظرية الشعر عند الفلاسفة الملمين لالفت الروبى ، التربية فى الاسلام د . احمد فؤاد الاهوانى . . وللمزيد انظر ، آراء فلاسفة التربية الاسلامية القدامى فى مؤلفات . ابى الحسن القابسى ، ابن جماعة ، ابن مسكوية والغزالى ، وابن خلدون.

وقد حرص العرب على تنمية الخصال الحميدة فى الطفل كالشجاعة والكرم والعطف والشهامة والنخوة وغيرها من الخصائص الايجابية فى الشخصية العربية . وذلك عن طريق اشعارهم وامثالهم وحكمهم وقصصهم . والامام الغزالى خير من عبر الفلسفة الاخلاقية فى الاسلام ، فكتابه"احياء علوم الدين" ، ورسالته المعنونة" ايها الولد المحب و"كتاباته المتفرقة تعد ترجمة للفكرة الدينية والاخلاقية الدائرة حول الادب بمعناه التهذيبى ومعناه الفنى . يقول الغزالى :

"لو كانت الاخلاق لاتقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ويستشهد هنا بالحديث النبوى : حسنوا اخلاقكم "و" مانحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن [(١)] .

ويكشف الغزالى عن موقفه من الأنواع الادبية فى إطار هجومه على المرنول الماجن ونحوهما من فنون الأدب ، فيحذر من اشعار الهوى والعشق والمجون وأهله عندما قال "ويحفظ (أى يبعد الطفل) من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله [(٢)] وفى ضوء ذلك قال د . طه حسين :

(.. أنا أعلم حق العلم أن من المتقدمين من كان يعدل عن رواية الفاحش من الشعر سواء أكان فحشه مؤذيا للعاطفة الدينية أو للاخلاق والأدب)[(٢)] .

إذاً لا يضير الطفل أو يقلل من طبيعة الانواع الادبية الموجهة له انها تقوم فى أساسها على ركيزة روحية(دينية وأخلاقية) وبأسلوب تهذيبى فيه التثقيف والتعليم أكثر مما فيه من فنية عالية . ويعبر البوصيرى(٦٠٨ – ٦٩٥هـ) عن أثر التنشئة على طبع الانسان من زمن الطفل فى مرحلته الاولى ، من مثل هذا البيت الشهير اورده مطولته (البردة) :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

واذا كا فن الرجز قد نشأ فى أحد مقاصده لهدف لغوى فى العصر الجاهلى فإن العصر العباسى توسع فى استعمال البحور الخفيفة والقصيرة والمجزوءة كالمجتث والمقضب والمضارع ، بل واستحدث العباسيون المزدوج والمسمط اما المذدوج فلعل أول من استخدمه بشار بن برد ، وأخذ الشعراء يستخدمونه من حوله ومن بعده فى الشعر التعليمى كما نرى فى قصيدة بشر بن المعتمر التى رواها الجاحظ فى كتاب الحيوان"[(٣)] وسبق ان ذكرنا فى تتبع نشأة واغراض الاشعر القصار فى الادب العربى أن كانت العرب تقول الرجز فى

(١) احياء علوم الدين والغزالى ، جـ ٨ ص ١٤٣٩ .
(٢) الاغانى ، جـ ١ ص ١٤٩
(٣) السابق ، جـ ٣ ص ١٤٥ .

الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتى منه بأيات يسيرة ، فكان الاغلب العجلى أول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته "(١) وقد استتبع التقاء العرب بالثقافات الهندية والفارسية واليونانية فى زمن الحضارة الاسلامية الزاهرة ، التجديد فى استعمال البحور الشعرية وبالتالى الأغراض التى كان يقصد اليها الرجاز الشعراء وظهر الميل الى استخدام الاوزان المجزوءة بتأثر ازدهار الموسيقى والغناء فى الأمصار فعرفوا المخمس والمزدوج .

وقد اختار اصحاب الشعر التعليمى القالب الاخير لشعرهم ، وكأنما أغراهم وفرة الموسيقى فيه ، حتى (تتلاقى مافى معانيهم من جفاف معرفة الحكمة . . أما الاسلوب فهو اسلوب مبسط أستطاعوا بذوقهم الحضارى الرقيق أن يحدثوه . فإذا لغته أشد ما تكون نقاء" .

وهذا لم يمنع ندرة الاستعمال لبعض تلك البحور ، ومنه قول مسلم بن الوليد:(٢)

يـــا أيـــهـــا الـــمـــعـــمـــود   قـــد شـــفـــك الـــصـــدود

وله ايضا من تلك الاوزان المقتضبة :

نـــبـــا بـــك الـــوســـاد   وامـــتـــنـــع الـــرقـــاد

وتحقيقا للفائدة من استعمال الرجاز والشعراء للبحور القصيرة فى عالم الشعر التعليمى وما يتضمنه من معارف وعظات وأمثال وحكم للناشئين ، وبما فى هذه البحور الخفيفة من إيقاع موسيقى ولغة موزونة سهلة – يوافق عقل الطفل وادراكه – نظم إبان بن عبد الحميد اللاحقى كليلة ودمنة شعراً يقول فى مقدمته :

هـــذا كـــتـــاب أدب ومـــحـــنـــه   وهـو الـذى يـدعـى كـلـيـلـة دمـنـه

فـــيـــه ضـــلالات وفـــيـــه رشـــد   وهـو كـتـاب وضـعـتـه الـهـنـد

فـــوصـــفـــوا آداب كـــل عـــالـــم   حـكـايـة عـن الـسـن الـبـهـائـم

كما تضمن كتاب الاوراق الصولى منظومات شعرية طويلة تشمل الادب الوعظى أو

---

(١) السابق ، جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٢) السابق ، جـ ص ٢٩ .

الادب الحكيم من أمثال ووصايا وعظات تأديبات ، من التى كتبها "ابان بن عبد الحميد ترجمة لكليلة ودمنه"فى نظم شعرى" ، واقتفى اثر ابان اللاحقى ، سهل بن نويخت فى نظم حكايات كليلة ودمنهه شعراً .(١)

ولم يكن اللاحقى وحده ، هو الذى نظم كليلة ودمنه شعرا ، بل اقتفى اثره شعراء عديدون هم الشاعر المصرى الاسعد بن ممات (- ١٦٠ هـ) وقبل ذلك بنحو قرن محمد بن صالح العباسي المعروف بأبن الهبارية(٥٠٤ هـ) صاحب كتاب "نتائج الفطنة فى نظم كيلة ودمنة"، ورصيفه الصادح والباغم الذى سار فى تاليفه على أسلوب كليلة ودمنه يقول ابن الهبارية فى نتائج وهو يرتجز :

هـذا كـتـاب حـسـن	تحـار فـيـه الـفـطـن
قـضـيـت فـيـه مـدة	عـشـر سـنـيـن عـده
بـيـوتـه الـفـان	جـمـيـعـهـا مـعـان(٢)

جانب آخر أهميته للطفل وهو توظيف مادة الطير والحيوان على ألسنة الشعراء . فمن الضرورى الاشارة الى أهمية ولع الطفل بالحيوان والطير ولذلك تناثرت فى ديوان الشعر العربى منظومات شعريه تصف الطيور والحيوانات على نحو ما عبر عن ذلك فى رحلات الصيد والطرديات ، ووصف عجائب المخلوقات العديد من شعراء العربية القدامى .

وعلى أية حال فقد تناول د. طه حسين فى الجزء الثانى من كتابه حديث الاربعاء ريادة ابان بن عبد الحميد اللاحقى لفن الشعر التعليمى فيذكر : انه ابتكر فى الأدب العربى فناً لم يتعاطه احد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى وهو فن ليس له فى نفسه قيمة ادبية ، ولا سيما فى العصور المتحضرة (٣) .

والعبارة التى قال بها د . طه حسين لايمكن قبولها على اطلاقها لانه من الظلم الواضح ان نصدر احكامنا على المنظوم الشعرى التعليمى بنفس الاحكام التى تصدرها على الشعر

(١) شرح ديوان الحماسة ، للتبريزى ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .
(٢) عنى بنشره المستشرق ج . هيورث ، دون فى ثلاثة اقسام : قسم اخبار الشعراء . طبع ١٩٣٤ (وهو المتضمن اشعار كليلة ودمنه لابان اللاحقى وقسم اخبار الراضى بالله والمتقى بالله طبع سنه ١٩٣٥ م . والقسم الاخير اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم طبع عام ١٩٣٧ انظر ابو بكر الصولى ، احمد العمرى ص ٢٧٧ - ٢٧٩ . ط هيئة الكتاب ١٩٧٢ .
(٣) اطفالنا والتراث ، ندوة عربية ، ط المجلس الاعلى للثقافة ١٩٨٨ .

فى أغراضه الاخرى أو فى طبقته العالية (بمضمونه وبنيته اللغوية والفنية .

كما أن العصور المتحضرة فى أزهى فترات الحضارات الانسانية ازدهر خلالها الشعر التعليمى مثل الحضارة الهندية والفرعونية واليونانية ، فهى لا تقصد الى الجمال الفنى فى الشعر بقدر ما تهدف الى التعليم والتهذيب والتسلية ، والطفل بطبيعته يميل الى المنظومات القصيرة يرددها ويفيد منها كما أفاد منها د . طه حسين – ذاته – وهو فتى على حد قوله حول تلك المنظومات فيذكر :(كنا نروى هذه المنظومات التى حفظناها فى الأزهر أيام الصبا . .) (١) لقد كان الشعر التعليمى هو الوعاءالمفضل للعلوم على نحو ما هو معروف ، كما انه استشهد به لاثبات المعانى)(٢) ، ولو عدنا إلى إبان اللاحقى بإعتباره مخترع الفن التعليمى حينما نظم كليلة ودمنه شعراً للأطفال – لوجدناه قد التفت الى جانب هام يكمل به فائدة نظم كتاب كليلة ودمنه بالشعر ، وليسهل على هؤلاء الأطفال المتعة من نظم الحكايات والافادة من مضامنها فى أسلوب تعليمى سهل ، ألا و الإلتفات الى حكايات الحيوان والطير وعجائب المخلوقات ، وهى من المخلوقات المحببة لعالم الطفل والمحفزة لخياله ، يقول ابان بن عبد الحميد وهو يستهل نظمه لكليلة ودمنه :

هذا كتاب أدب ومحنه ... وهو الذى يدعى كليلة ودمنه
فيه ضلالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم ... حكاية عن السن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله ... والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذلك يسير الحفظ ... لذ على اللسان عند اللفظ

وأنظر كيف افتتح الأسد والثور :

وإن من كان دنئ النفس ... يرضى من الأرفع بالأخس
كمثل الكلب الشقى البائس ... يفرح بالعظم العتيق اليابس
وإن أهل الفضل لايرضيهم ... شئ إذا ما كان لا يغنيهم
كالأسد الذى يصيد الأرنبا ... ثم يرى العير المجد هربا

---

(١) حديث الاربعاء ، د . طه حسين ، جـ ٢ ص ٢٢٣ .
(٢) عالم الفكر ، مقالة للدكتور عبده بدوى ، ص ٤٩-٥٠ ، (ع) ٤ يناير ١٩٨٦ ، الكويت .

فيرسل الأرنب من أظفاره ويتبع العير على أدباره
والكلب من دقته ترضيه بلقمة نقذفها فى فيه

وهذا جانب آخر نكمل به ملامح صورة الطفل فى الشعر العربى المورث ، وهو وصف للحظات السفر أو الاغتراب عن الطفل ، ومنه تذكر كاتب الامير المنصور بن ابى عامر وهو الشاعر ابو عمرو بن دراج القسطلى اذا يذكر ابنه وقد تركه لحظة سفره :(١)

ابنى لاتذهب بنفسك حسرة عن غول رحلى منجدا أو مغورا
فلئن تركت الليل فوقى راجيا فلقد لقيت الصبح بعدك أزهرا
وحللت أرضا بدلت حصاؤها ذهبـاً يرف لنـاظرى جوهـرا

ومنه لابن دراج أيضا يصف فراقه لزوجه وابنه فيذكر فى لحظة الوداع:(٢)

ولما تدانت للوداع وقد هفا بصيرى منها أنه وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى وفى المهد مبغوم النداء صغير
عبى بمرجوع الخطاب ، ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت لـه أذرع محفوفة ونحور

ومنه أيضا قوله الأعشى فى حوارية مع ابنتة وهو على سفر :(٣)

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذى صليت فاغتمضى نوما فان لجنب المرء مضطجعا

كما أحسن العربى ببصيرته بفرحة الطفل حين يرى القمر كأنما تنعكس صفحة وجه الطفل الجميل (حادر) على بدر السماء ، فالصبى عندما يرى القمر يهش له ، وفى ذلك يقول الشاعر (٤) :

(١ ، ٢) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الاندلسى . تحقيق د . شوقى ضيف جـ ٢ ، ص ٦٠ .
(٣) الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب ، للبطليوسى ، تحقيق مصطفى السقا د . حامد عبد المجيد جـ ١ ، ص ٤٠ .
(٤) مجالس ثعلب ، لابى العباس احمد بن يحى ، تحقيق عبد السلام هارون جـ ، ١٤١ .

وحـادر قـال لـى قـولا قـنـعـت بـه لو كنت اعلم أنى يطلع القمر

وفى استنفار الناشئة للجهاد والقيادة ، كانت صورة الطفل مضيئة فى هذا الجانب من أغراض الشعراء ومنه قول لبيد :[١]

تـطـيـر عـدائـد الاشـراك شـفـعـا وتـرا والـزعـامـة لـلـغـلام

ومنه انشد العباسى :[٢]

قـلـل الأطـفـال آل بـكـر يـجـيـبـوا من دعاهـم للحرب عند البراز

وبعد ، ان التوفر على ايرادنا للشواهد التراثية السابقة من ديوان الشعر العربى فى الاغراض المتنوعة (عن) الطفل بهدف تاكيد وجود شخصية "الطفل" فى نسيج الشعر العربى رجزه وقصيده ،ولا يزعم المؤلف انه اتى بحصر واف لكافة الاشعار التراثية عن الطفل لندرة المصادر والمراجع ، بل عدمها – مستقلة – فى مجال ديوان الطفل العربى ، وإنما اقتضى ذلك الاجتهاد فى استقراء متفرقات أمهات كتب اللغه والادب والاخبار لاستخراج البيت أو البيتين أو المقطوعة فى أحسن الاحوال وبهدف التنظير النقدى لأدبيات الطفولة .

وليس من شك فى أن صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى حظيت على نحو ما بمكانه لا بأس بها عند الرجاز والشعراء ، وأزعم أنها مكانه ايجابيه فى أغلبها (باستثناء) اشعار الغزل الشاذ فى الغلمان ، وهو كلون طارئ اندرج تحت فن الغزل بنوعيه العفيف والصريح ، ولكن هذا الغزل المذكر فى الصبيان والغلمانُ طمست أغراضه من حياة الجماعة العربية ، وإن بقيت آثاره تنعكس بالسلب على حياة بعض الصبية الأطفال فى طفولتهم المتأخرة وهم يعلمون فى بيوت الخلفاء والامراء والقواد والاثرياء فى اخريات العصر لعباس وعصور الدويلات والطوائف .

ومما يرويه فى ذلك صاحب الأغانى : دخل على بن عيد بن وهب يوما ومعه صاحب له،

(١، ٢) المرجع السابق ، جـ ، ص ٧٨ – ، جـ ٥ ، ص ٢٦٠ .

غلامان أمردان فقالا له لقد تحاكمنا اليك أينا أجمل وجها وأحسن جسماً : وجعلنا لك اجر حكمك أن تختار إينا حكمت له فـ .... ثم مال على الآخر قال :

رئمان جاءا . . فحكماني — لاحكم قاض ولا أمير
هذا كشمس الضحى جمالا — وذا كبدر الدجى المنير
فكان مني ومن قريني — اليهما وثبة المغير
فمن رأى حاكما كحكمي — أعظم جورا بلا نكير(١)

ومعه أيضا ما يرويه ابا الفرج الاصفهاني في الأغاني :

كان ابو محمد التيمي يهوى غلاما ، كان الغلام يهوى جارية فكان بها مشغولا عنه فقال التيمي في ذلك :

ويلي على أغيد ممكور — وساحر ليس بمسحور
تؤثرة الحور علينا كما — نؤثره نحن الحور (٢)

وممن تغزلوا بالغلمان ايضا مطيع بن أباس :

وليس يعتم إلا — سكران مع سكران
يسقيه كلام غلام — كأنه غصنان(٣)

ومنه قول البحتري يتغزل في غلام :(٤)

نبتت لحية (شقر) — ان شقيق النفس بعدي
حلقت ، كيف اتته — قبل ان ينجز وعدي

وعلى هذا النحو تغزل الشعراء في الغلمان ، ولم يكتب لمثل هذا الغرض الذيوع والاستمرار ، واتجه الشعراء – يومئذ – الى الغزل بنوعيه العفيف والصريح ، وارتبط الاخير في اغلب نماذجه بالخمريات اما الغزل المذكر في غلمان القصور وبيوت الاثرياء ، فانقطع سبيله وانطفأ شعاعه .

---

(١) الاغاني ، للاصبهاني جـ ٢٠ ، ص ٢٤٠ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٢) السابق ، ص ٥٨ .
(٣) السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٩٣ .
(٤) الاغاني ، جـ ٢١ ، ص ٤١ .

الطفل شاعرا :

رافد آخر نستطيع أن نكمل به صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى هو الالتفات الى شاعرية الاطفال أنفسهم ، من خلال ذكر امثلة لنظمهم الشعرى ومن نافلة القول التأكيد مرة أخرى على اهتمام الأطفال العرب وشغفهم بحضور مجالس الادب وحلقات الرواة ومن ثم تكونت لديهم ملكة التذوق الأدبى ، ونظم بعضهم الشعر فى سن صغيرة ، ومن بين هؤلاء الصغار يومئذ الشاعر الجاهلى (طرفه بن العبد) . فيما نسبه اليه الرواة انه نجح فى نظم الشعر فى سن مبكرة وقد أورد الدميرى المصرى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى رواية تتصل بطرفه بن العبد وخروجه مع عمه على سفر ، فاستهواه صيد (القبرة)(١)

وعندما عاد قال اول اشعاره فى القنابر*، يستعيد ويصف التقاط القنابر للْحَب فيذكر :

يـالـك مـن قـبـرة بمـعـمـر	قـد رفـع الـفـخ فـمـاذا تحـذرى
قد ذهب الصاد عنك فابشرى	خلا لك الجو فبيضى واصغرى
ونـقـرى مـا شـئـت أن تـنـقـرى	لابد يوما ان تصادى فاصبرى

واذا قرأنا اخبار كعب بن زهير فى الأغانى لوجدنا كيف اهتم الاباء بتعلم الابناء الشعر وإنشاده واجازته وبالتالى اذاعته على الناس . وزهير اجاز غير مرة ابيات شعرية لأبنه كعبا ، بعد دربه وتثقيف معه ، فكان يبدأ بانشاء نصف البيت (صدره) ليكمل عجزه ، أى يطلب منه أن يكمل البيت ، ومن ذلك ما ينسبه الرواه إلى أن أول قصيدة انشدها كعب بن زهير وهو فتى ، ومنها هذا البيت :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع	بعرض ابيه فى المعاشر ينفق (٢)

وأخبار لبيد بن ربيعة فى الاغانى – كذلك – تدلنا على مدى مقدرته على انشاء الشعر صغيرا ، وقد بدأ لبيد بن ربيعة يقرض الضعر فى اطار الفخر القبلى فى تعصب لاعمامه

---

(١) الاغانى ، جـ ص ٤١ .

(٢) الاغانى ، للاصفهانى ، ج ١٨١ ، ص ٦٣٥٩ .

* حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، مادة القبرة .

من بنى عامرا ، فيهجوا أخواله من بنى عبس قائلا :

نحن بنى أم البنين الأربعة سيوف حز وجفان مترعه
نحن خيار عامر بن صعصعه الضاربون السهام تحت الخيضعه
والمطعمون الجفنه المدعدعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه (١)

وها هى حوارية أدبية طريفة دارت فى صدر الاسلام بأحد مجالس العرب وكان الرسول (ﷺ) قد وفد معه صاحبه ابو بكر على مجلس من مجالس العرب فأخذ الصديق يسأل الحضور فى أنسابهم وبطونهم ، فلما أنتهى من ذلك قام اليه(عقل بن حنظله) يومئذ غلام صغير وأنشد :

ان على سائلنا أن نسأله والعبد لانعرفه أو نحمله

وأخذ الصبى يستفسره ويحاوره ، حتى أحس أبو بكر بالدهشة من بلاغة الصبى وبيانه وحسن محاورته فرجع الى رسول الله والغلام ينشد :

وافق دار السيل در يدفعه يهضيه حينا وحينا يصدعه

فتبسم الرسول (ﷺ) وقال ابو بكر عبارته المشهورة التى ضربت مثلا من بعد :"ان البلاء موكل بالمنطق" ومن اللافت للنظر أن عقل بن حنظلة عمرّ طويلاً فأدرك ولاية معاوية ووفد عليه فسأله يوما : بم ادركت هذا العلم ؟ قال : بلسان سئوول وقلب عقول (٢) .

وظهرت ملامح شاعرية ابى الطيب المتنبى وهو فى عمر الصبا ، واول شاعر نظمه ارتجالا قوله وهو صبى:

يا أبى من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه علي وداعا

---

(١) السابق ، للاصفهانى ، جـ ١٦ ص ٥٧١٨ .
(٢) انظر المحاورة تفصيلا بكتاب . ابناء نجباء الابناء ، محمد بن ظفر ص ١٠٧ – ١٠٨ .

وقال فى صباه وهو فى المكتب (الكُتّاب) يرد على المتعجب من شَعْره المجتمع على رأسه:

لا تحسن الوفرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة ... بعليها من كل وافى السبال

وقال ايضا فى صباه ، وقد أهدى اليه عبيد الله بن خلكان هديةً فيها سمك ونحوه، فقال ارتجالا :

هدية ما رأيت مهديها إلا ... رأيت العباد فى رجل
أقل ما فى أقلها سمك ... يسبح فى بركة من العسل
كيف اكافئ على أجل يد ... ومن لا يرى أنهل يد قبلى(١)

فى ضوء ذلك يمكن القول ان أمارات الموهبة الشعرية ، تظهر عند الشاعر أى شاعر ، فى سن مبكرة ، ولكن تدوين شعر مرحلة الطفولة عند معظمهم . تخفيه عاديات الزمن ، فضلاً عن عدم إكثرات الشعراء انفسهم فى مرحل صباهم بتدوين محاولتهم الأولى ، وأما ما تنقله الروايات المدونه من شعر مرحلة الطفولة فدليل على توثيقه وتدوينه وصحة نسبه تبعا لتتبع أخبار روايته . ولقد رأينا مخايل الموهبة الشعرية عند الشاعر العباسى أبن المعتز تبدو فى سن صغيره ومن شعره فى مرحلة طفولته نعرض هذه النماذج(٢)

لا تمنعن العلم طالبه ... فسواك ايضا عنده خبر
كم من رياض لا أنيس بها ... هجرت لأن طريقها وعر

وقال ايضا فى صباه :

أصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

---

(١) ابو الطيب المتنبى حياته وشعره ، عباس محمود العقاد ومجموعة من الكتاب ، ص ١١١ - ١٢٥ ، ط المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
(٢) معجم الادباء ، لياقت الحموى ، جـ ٢ ص ٤٧ .

ومنه ايضا قوله وهو طفل صغير لم يبلغ سن الشباب :

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه　　إلى غير من حقت عليه الصنائع
متى يدرك الإحساس من لم تكن له　　إلى طلب الاحسان نفس تنازع

وقبيل نهاية مرحلة الصبا وعمر (عبد الله بن المعتز) يومئذ ثلاثة عشر سنة كتب الى مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى شعريه يقول فيها :

أصبحت يا بن سعيد حزت مكرمة　　عنها بقصر من يحفى وينتعل
وسر بلتنى حكمة قد هذبت شيمى　　وأحجت غرب ذهنى فهو مشتعل
أكون إن شئت قسا فى خطابته　　أو حارثا وهو يوم الفخر مرتجل
وإن أشأ فكزيد فى فرائضه　　أو مثل نعمان ما ضاقت به الحيل
أو الخليل عروضيا اخا فطن　　أوالكسائى نحويا له علل

وصورة الطفل فى تراثنا العربى كما نعرضها فى هذا الجانب : الطفل شاعرا تمثل مرحلة هامة فى حياة الشاعر ، اذا يذيع شعره بين الناس ومن بعد - ربما يستعيد ذكراها وتجريتها البكر الوليدة معه ، يقول البحترى مخاطبا الطبيعة وقد رد اليها جمالها ويعاوده الامل فيتصابى :

قد تصابيت فاعذرى او فلومى　　ليس شى من الصبا من شأنى

ويطالعنا البحترى فى أبيات نظمها (*) فيذكر متغزلا :

الا يا هبوب الريح فبلغ رسالتى　　سليمى وعرض بى كأنك مازح

وعنى اقرئها السلام وقل لها　　زعمت بالا يكتم السر بائح

فإن سألت عنس سليمى فقل لها　　به غير من دائه وهو صالح

* يقول د . شوقى ضيف (أن ملكته الشعرية تفتحت فى سن مبكرة انظر . الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٨٨) ينظر أيضاً الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب للبطليوس ، تحقيق مصطفى السقا ، د . حامد عبد المجيد ، جـ ١ ص ، طـ ١٠١ ، طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .

وهذه محاورة أو جانب الهجاء ، دارت بين شاعر تغلب كعب بن جميل والأخطل (وهو يومئذ صبى غرير) قال الأخطل :

وسميت كعب بشر العظام وكان ابوك يسمى الجعل
وأنت مكانك من اوائل مكان القراد من أست الجمل

وعندما لج بينهما الهجاء قال كعب جميل : أن غلامكم هذا لأخطل (١)

وبعد . . فقد طوف هذا المبحث مع نماذج شعرية فى ادبنا العربى بهدف التأكيد على وجود الدعائم التراثية فى مجال أدبيات الطفل ، وهى دعائم تقوم على رؤية العقل العربى والمبدع العربى لصورة الطفل ، كما جسدها خيال الشعراء ونظم الرجاز أو كتبها الشعراء بأنفسهم فى طفولتهم . وقد اجتهد المؤلف قدر طاقته ليعرض صورة الطفل فى الشعر المدون من أدبنا الرسمى وهى صورة توزعت ملامحها عند معظم الاغراض الاساسية المعروفة فى شعرنا الموروث بقى أن نسجل فى خاتمة هذا الفصل التأكيد على : وجود أغانى الاطفال الشعبية فى حياة الجماعة وهى تندرج تحت مظلة الادب الشعبى ولها اهميتها فى الامتاع والتسلية والفائدة بنفس مقدار الأشعار القصار فى الادب الرسمى غير ان اغانى الاطفال الشعبية تخضع للتعديل فى نصوصها بالحذف أو الاضافة وفق استعمال الجماعة لها جيلا بعد جيل ، وتتنوع اغانى الطفل فى الادب الشعبى فتشمل اغانى اللعب ، واغانى المناسبات واغانى المعتقدات وهى تمتاز بالتبسيط والاعراب فى الخيال لتشويقهم ، وتصاحب هذه الاغانى الاطفال فى مدارج لعبهم ، فى سلامهم وخصامهم وما من حادث او فراغ فى حياة الطفل إلا وتملؤه امه بالأغانى"والحواديت" والمناجاة بالمنظومات تنيمه على أغنيات ، وتفرحه باخرى وتشجعه على محاكاه الكبار وتعلمه الكلام بمنظومات بسيطة ذات جرس قوى .

---

(١) ديوان البحترى ، بتحقيق حسن كامل الصيرفى ، مج ١ ، ص ٤٦١ ، طـ ٣ دار المعرف ١٩٧٧ .

«بابات خيال الظل»

بابات خيال الظل وهو لون من الوان الادب الشعبي له جذوره التراثية وليس وليدا لشواهد العصر الحديث كما يتصور بعض الباحثين بقوله : ان بابات خيال الظل القديمة ، بل تلك التى كانت ذائعة فى أواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن تكفى للتعرف على عادات كثيرة وانحاء شتى من الحياة الشعبيه . . . وهى من النصوص الموضوعة للتسلية والامتاع)[١] وقد أورد الدكتور الطاهر مكى فى كتاب لابن حزم حققه وعلق عليه أورد فقرة منه فيذكر:(اشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل ، وهى تماثيل مركبة على مطحنه خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو اخرى)[٢] يقول د . الطاهر مكى فى تعليقه على ماورد بهذه الفقرة التى أوردها ابن حزم الاندلسى فى كتابه"الاخلاق والسير فى مداواة النفوس(هذه الفقرة بالغة الاهمية فى التاريخ لفن خيال الظل ، لانها تعنى انه وجد فى الاندلس فى فترة مبكرة ، تعود الى أو اخر القرن العاشر أوائل القرن الحادى عشر الميلادى . ويرجع الدارسون ان هذه اللعبة وفدت الى مصر خلال العصر الفاطمى ، من الصين ، أو الهند او جاوة وانتقلت من مصر الى الاندلس أ . هـ . ويميل المؤلف الى الأخذ بالرأى السابق لأن ريادة خيال الظل فى الشرق كما يردها أحمد تيمور باشا فى كتابه"خيال الظل الى جعفر الراقص – فيها نسب ضعيف – ولأن استقراء مخطوطة الصفدى(*) التى اتكأ عليها صلاح الدين بن ابيك الصفدى فى نسب اختراع خيال الظل الى جعفر الراقص بسبب ابيات من الشعر تتحدث عن الرقص تحت فصل بعنوان : فصل الختام عن التورية والاستخدام اما مقولة احمد تيمور باشا ان خيال الظل لعبة"وجدت بملاهى القصر مدة الفاطميين فهى مقولة تتفق ورواية د . الطاهر مكى والمستشرق الالمانى بول كالا" وذلك لازدهارها فى زمن الفاطميين ، وقد رأى د . ابراهيم حماده ان الأدب العربى(الشعبى أو الرسمى) تقبل ادبيات المخايلة فى بطء كما يرد زمن نشأة خيال الظل فى العالم الاسلامى والعربى إلى فترة"بدأت فى اواخر القرن العاشر الميلادى واوائل القرن الحادى عشر[٣] .

---

(١) الادب الشعبى ، أحمد رشدى صالح ، ص ٢٥٥ – ٣٢٤ ، ط الهيئة المصرية ١٩٧١ .

(٢) الاخلاق والسير فى مداواة النفوس ، لابن حزم ، تحقيق وتعليق وتقديم د . الطاهر مكى ص ١٢١ – ١٢٢ .

(*) انظر ديوان الصفدى ، موله بخط يده سنة ٧٣٨ هـ ، محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٧٧٦ ١٨٤ خيال الظل ، احمد تيمور باشا ، ص ٢٢ ، دار الكتب العربى ١٩٥٧ م .

(٣) خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، دراسة وتحقيق ابراهيم حمادة ص ٤٥ ط وزارة الثقافة ١٩٦٣ م

ولو أردنا التأكيد على وجود منظومات شعريه كتبها الشعراء فى الراقصين أو فى المخايلين بمثابة أدلة كافية لنشأة هذا الفن ، لكان ذلك امرا يسيرا فالتراث العربى القديم يزخر بذلك ومنه :(١)

منوع الحركات يلعب بالنهى ليس المحاسن عند خلع لباسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه كالسيف ضم ذبابة لرئاسه

إذا خيال الظل فن أدبى يقوم على عناصر مادية وبشرية – بل هو الجنين اليافع لمسرح العرائس – الذى يألف الصغار ، والكبار وكذلك . إن المخايلة الفنية بالتمثيل والشخوص المألوفة وغير المألوفة بأسلوب نثرى وشعرى من خلف ستار هى الارهاصات الأولى لميلاد مسرح الطفل أو مسرح العرائس . ولا جرم اذا تطورت المخايلة الفنية(خيال الظل) الى المخايلة الشعبية المبهجة (الاراجوز) ، وقد يقول قائل : ما علاقة ذلك بأدب الطفل ؟ وللرد على تلك المقولة نستطيع القول فى اطمئنان ان بابات خيال الظل شكل من اشكال التعبير فى الادب الشعبى ، له علاقة محببة بعالم الطفولة ، وقد نما وتطور عبر تاريخنا الأدبى وهو يحتوى على مادة نثرية وشعرية(أشهرها نصوص ابن دنيال التمثيلية) سواء أكان خيال الظل قد نشأ لعبة فى بداياته ثم تطور كفن تمثيلى ومسرح عرائسى فى ذروته ، فإن الازجال والأشعار التى كانت تروى على السنة شخوص بابات خيال الظل ويفهمها الاطفال ويتذوقونها ويستمتعون بها – فهى تقترب من مفهوم أدب الطفل وان خيال الظل فى فلك الأدب الشعبى .

إن علاقة خيال الظل بأدب الطفل كعلاقة اللعب بالطفل ، فخيال الظل يمتع عقل الطفل،

لانه ايهام بالصورة واللعب ترجمة انطباعات الطفل الى انفعالات محسوسة ولذلك وجدنا أغانى اللعب تنتظم حياة الجماعة العربية وكم من قصص دارت حول الالعاب فى أدبنا الشعبى وفى أدبنا الرسمية يقول الشاعر الجاهلى آمرؤ القيس (٢) .

(١) المغرب فى حلى الغرب ، لابن سعيد ، تحقيق ، د . شوقى ضيف ، ص ١٣٧ .
(٢) خيال الظل ، احمد يتمور باشا ، ص ٣٢ ط القاهرة ، ١٩٥٧ .

عـهـدتـنـى نـاشـئـا ذا غـرة — رجـل الجـمـة ذا بـطـن اقـب
اتـبـع الـولـدان ارخـى مـئـزرى — ابن عـشـر ، ذا قـريـط مـن ذهـب
وهـى اذ ذاك عـلـيـهـا مـئـزر — ولـهـا جـوار مـن لـعـب

ان مادة أدبيان الطفل التى عرضنا لمنتخبات منها ونحن نستقرئ الطفل فى تراثنا الشعرى فى تراثنا ، مادة كافية لإثبات وجود كجنس أدبى فوق خارطة الأدب الرسمى وألفينا الطفل كذلك يمثل شريحة عمرية كبيرة وهامة فى أى مجتمع . تتلقى الأدب كأى شريحة أخرى ، من المتلقين والمتذوقين للأدب فى صفوف المجتمع ، أما الحاق النتاج المعرفى بأدب الأطفال فنعده من الخلط الواضح فى تحديد دقة المصطلح الأدبى .

إن أدب الطفل فى أدبنا الرسمى هو جنس أدبى مركب تتعدد أشكاله، شأنه شأن باقى الأنواع الأدبية لا يميزه عنها من فروق دالة سوى الفروق فى الخصائص المعرفية والإدراكية بين الصغار والكبار ، وبالتالى الفروق الفنية بين أدبيهما .

الترنيمات الشعرية الغنائية والطفل

(أغاني المهد(أغاني الترقيص))

يؤثر الأدب في نفوس الصغار مثلما يؤثر في نفوس الكبار مع اختلاف في طبيعة ودرجة هذا التأثير ، لأن الأدب في مجمله غذاء للوجدان والعقل ، وهذا الغذاء لا يختلف في أصل مادته بالنسبة للصغار والكبار ، ولكن طريقة عرض هذا الغذاء واسلوبه وكميته لابد وأنها تختلف عن غذاء الكبار حتى يستطيع الأطفال التمثل والفهم ، وليس من شك أننا واجدون أن العقل العربي كان على وعي – من نوع خاص– بالفروق الدقيقة بين الشعر الموجه للكبار ، وأغاني المهد أو أغاني ترقيص الطفل اذ أحسن العربي بفطرته وفوق خصائص مراحل النمو والإدراك ، وكذلك مثيرات الإحساس عند هؤلاء الصغار ؛ فصاغ لهم أغانيهم أو مقطوعات شعرية عنهم ولهم .

وكتب اللغة والأدب والأخبار وغيرها غاصة بأغاني ترقيص الطفل والأمهودات الشعرية المصاحبة لفترة المهد ، والطفل في هذه المرحلة المبكرة من مراحل طفولته يعيش في بيئة محددة محسوسة ، وهذه الأمهودات أو أغاني الترقيص تخاطب طفل المهد في لغة سهلة(*) وكلمات موزونة فترقيص الصبيان(بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان أنى وجد وكان من الخصال الحميدة التي(تقصدها العرب) لتربية الطفل وتهذيبه : ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية ، وكان للعرب نصيب موفور من هذه المقطوعات الشعرية اشتهرت في أخبارهم وأثرت عنهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم ، وكانوا يتخذون هذا الترقيص بالغناء وسيلة ترفيه وتسلية ، وبجانب ذلك كانوا يبغون به غرس جميل الخصال وحميد الفعال في ذهنه قبل ان يشتد عودة ويكبر وقد تمكنت منه الأخلاق ونقشت في مخيلته الصفات ، وانطبعت في قلبهاالقدوة (١) .

---

* من الثابت أن(عقل طفل المهد – رياض الاطفال) لايدرك الالفاظ الغريبة ، لان التداخل (التراكيب) ، على عكس السهولة ، كما ان التشبيع في طول الكلام واضطرابه بمثابه سدود لغوية أمام مخيلة الطفل ، فالالفاظ الغريبة الخشنة بعيدة الأستعمال صعبة الافهام اتصلح كوعاء لاغاني الترقيص الخاصة بالطفل بينما تصلح اللغه البسيطة لذلك لأن الفاظها فصحى ميسرة خفيفة على السمع واللسان ، سهلة النطق ، ولقصرها وكثرة استعمالها . وقديما قال الجاحظ ، كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ولاساقطا ولاسوقيا فذلك لاينبغي ان يكون وحشيا ، وقال الجرجاني :ان كل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به اخص واولى وضروب من العبارة هو بتأديته اقوم ، وهو فيه اجلى ، ا . هـ .

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د . أحمد عيسي ، المقدمة ، طـ بولاق القاهرة ١٩٣٦ م .

بلغت عناية العرب القدماء بأغاني الأطفال أن توفر على جمعها في كتاب بعنوان"الترقيص" أو المرقصات والمطربات "أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي ، وقد أشار لذلك بن حجة الحموي في خزانة الأدب والسيوطي في المزهر وكارل بروكلمان في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي ، وتتناثر أغاني المهد وأشعار الترقيص في كتب :الاغاني للأصفهاني ، ثمار القلوب للثعالبي المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهي ، محاضرات الادباء للراغب ، المعارف لابن قتيبة ، العقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها من كتب اللغه والأدب والأخبار وفي العصر الحديث قام الدكتور أحمد عيسى بنشر نماذج من أغاني ترقيص الاطفال نقلا عن المصادر الحديث التراثية التي أشرنا اليها ، وقد طبع تلك النماذج في كتاب "الغناء للاطفال عند العرب"وأشار في . مقدمته الى فضل ريادة العالم اللغوي النحوي لمحمد الأزدي في الجمع الأول لأشعار ترقيص الطفل . ويضيف د . شوقي ضيف في كتاب "المغرب في حلى الغرب" لأبي سعيد كتابا جديدا في هذا المجال بعنوان "المرقص والمطرب" لأبن سعيد الأندلسي ، فهو الثاني من نوعه في المكتبة التراثية بعد كتاب"الترقيص؛ للأزدي في القرن الرابع الهجري .

وكنا نود أن نقف على مادة كتاب الأزدي لكن هيهات .... لم تقع أيدينا على أصله المخطوط أو مكانه المحفوظ . أو حقيقة ماآل اليه أمر هذا الكتاب . أما صاحب خزانة الادب أو صاحب المزهر فلم يشيرا كذلك إلى آية معلومات وافيه حول هذا الموضوع أو حتى ترجمة للأزدي صاحب الكتاب - بل واقتصرا على إيراد نماذج* - أغاني الطفل تضمنها كتاب" الترقيص "أو" المرقصات والمطربات "للأزدي . وفي ضوء ذلك فالكتاب بحاجة الى تتبع أصوله وتحقيقه ، أما المؤلف فمن الثابت انه احد تلاميذ النحوي ابن دريد، على نحو ما ذكر كارل بروكلمان وقد توفي ابن دريد عام ٣٢١ هـ والمؤكد ان أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي عاش في القرن الرابع الهجري لعدم ذكر المصادر الأدبية للتاريخ مولده ووفاته؛ ولو تتبعنا من جانب آخر فلسفة العرب القدماء للعمل الادبي سنكتشف أهمية ما تحققه أغاني المهد وأشعار ترقيص الطفل متعة وفائدة فالمسلمون يقسمون القوى المدركة الى قسمين : الادراك الحي (الحس)، والادراك العقلي وقد حرصوا على أن يكون

* انظر : خزانة الأدب ، ص ١ - ١٧ جـ ٤ ، والمزهر ، ص ١٧١ ، ١٩١ ، ٢١٢ جـ ١٤١٨١، ١٦٩،١٥٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣١ ، جـ٢ . وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان جـ٢ ص ١٨٥ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، والأغاني للاصفهاني وغيرها .

هناك توازن بين اللذة والفائدة(المتعة والمنفعة) في العمل الفني وحرصوا ايضا على أهمية الشعر في تحصيل الفضائل ودوره الاخلاقي ، فالشعر يهدف الى الخير ويساعد على تكوين النشئ[1] أننا نحكم على إبداع ما ونقيمه ، حسب ماله من منفعة واقعية أو ممكنة الوقوع حاضراً او مستقبلا من الناحية الروحية أو الفكرية أو المادية،(والمرء لايغنى إلا بعدما يشعر بميل الى الغناء ، ويحس بحاجته الى التعبير عن مشاعره ، ودور المبدع هو قبل كل شئ اكتشاف الاسلوب المطابق للمفاهيم التى توجد فى بيئته وفى عصره)[2].

والبيئة الخاصة بالطفل بيئة صالحة للنقش فوقها لما نريد له من إمتاع وإشباع يحققان المعنى الوظيفى لأدبيات الطفل، والبناء الوجدانى للطفل مطلب واقعى نسعى لتحقيقه ، وقد اكتشف القدماء الأسلوب اللغوى الملائم لبناء مادة أغانى المهد على نحو ما ستوضح أغانى الترقيص التى نذكرها من بعد فالاساليب سهلة ، موجزة تتسم بالبساطة والايقاع الموزون، والتكرار المحبب أو والجمل الشعرية القصيرة الدالة ، وبذلك حقق القدماء المفهوم المتجدد القائل بأن(أول ميزات الشعر هى استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه)[3] وفى ضوء ذلك عكف المنشئون العرب يصيغون للطفل المنظومات الشعرية ذات البحور الخفيفة الملائمة لعقل الطفل وإدراكه ، مع حرصهم على ضرورة صدورالمنظومات الشعريه للطفل مجردة من التراكيب الشعريه الصعبة والألفاظ المستغربة والبحور الشعرية الطويلة المحملة بالجمل الشعرية المركبه . فالبنية الاساسية فى لغة الشعر الموجهه للطفل تخلو أو تكاد من الالفاظ الجزلة والغريبة والصعبة ، ولا يضير شعر الأطفال أن ألفاظه سهلة ، بسيطة شريطة ان تجمع بين الايحاء البسيط والمضمون الدال ، – فللصغار مثل الكبار – قاموسهم اللغوى والعقلى والجسمى ، وما يهمنا فى هذا الاطار هو استثارة الابداع عند الطفل على نحو ما صنع القدماء يتلقينه مقطوعات شعريةً خفيفة أصطلح على تسميتها بأغانى الترقيص أو أغانى المهد أو اشعار يفهمها الكبار والصغار معا ، وقبل عرضنا لنماذجها المدونة فى كتب اللغة والأدب ، تستقرئ المعنى اللغوى والأصطلاحى لأنواعها .

(١) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ألفت الروبى ، المقدمة ، دار التنوير بيروت ١٣٨٣ م .
(٢) دراسات فلسفية د . محمد عبد العزيز الحياتى ، ص ١٢٥ – ١٢٦ ، ط دار المعارف ١٩٧١ م .
(٣) النقد الادبي الحديث ، د . محمد غنيمى هلال ، ص ٢٨٦ ط القاهرة د . ت .

أشعار الترقيص :

يحسن أن نبدأ بتعريف المعجم اللغوى لأغانى ترقيص الطفل والتى تدور أصولها اللغوية حول مواد "غناء" و"رقص" و"طرب" و"قطع"و"نشد" من الغناء والترقيص والتطريب بالكلام الموزون فى قالب المقطوعات الشعرية القصيرة مما ينشد الطفل ، ففى المهد(الصبا المبكر) : تدلنا مادة مهد فى لسان العرب لابن المنظور ، على أن المهد : مهد الصبى ومهد الصبى موضعه الذى يهيء له والجمع مهود ، والمهاد الفراش ، وقد مهدت الفراش مهدا: بسطته ووطاته والجمع أمهدة، ومهد .[1] والذى يعنينا هنا هو المهد : الصبى ، لأقتران الجمع مهود أو أمهودات بأغانى الطفل فى فترة الطفولة المبكرة ، وفى القرآن الكريم ما يشير الى اقتران المهد بالصبا يقول عز من قائل:"من كان فى المهد صبيا" والغناء بالكسر من السماع . قال أبن الأعرابى : كانت العرب تتغنى بالركبانى اذا ركبت الابل ، واذا جلست فى الافنية وعلى اكثر أحوالها ، والركبانى هو النشيد يتغنى به . وفى حديث عائشة ﵂ :وعندى جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث ، وهو حرب كانت بين الأنصار . وقال أبو العباس: الذى حصلناه من حفاظ اللغه من قوله ، ﷺ ، كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن إنه على معنيين : على الاستغناء وعلى التطريب ، فهو من الغناء الصوت [2] أمامادة طرب اللسان : طرب : تغنى ، قال امرؤ القيس:[3] .

يغرد بالاسحار فى كل سدفة | تغرد مياح الندامى المطرب

ويقال : طرب فلان فى غنائه تطريبا إذا رجع صورة وزينه ، والتطريب() فى الصوت مده وتلحينه ، وطرب فى قرائته : مد ورجع ويقال رقص يرقصا قال حسان :

بزجاجة رقصت بما فى قعرها | رقص القلوص براكب مستعجل

والعرب تقول : رقص البعير يرقصا ، اذا أسرع فى سيره . وأرقصت المرأة صبيها ورقصته : نزته . لاطفته باللعب والغناء . . قال اعرابى :

واذا ترقصت المغازة غادرت | ربذا يبغل خلفها تغفيلا

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (مهد) ص ٤٢٨٦ ، ط - دار المعارف د . ت

(٢) السابق ، مادة (غنا)ص ٣٣٠٩ .

(٣) نفسه ، مادة (طرب)ص ٢٦٤٩ .

معنى ترقصت ارتفعت وانخفضت والربذ السريع الخفيف(١) .

وليس المقصود من الكلام الذى اورده ابن منظور فى اللسان حول معنى الرقص أو الترقيص فى مادة(قص) المفهوم الحاضر للرقص المرتبط بالحركة الجسدية مع الموسيقى فقط فى سائر أنواعه ، لكن أهم ما يلفت إليه رابطة الإيقاع الحركى المرتبطة بالغناء وبتهنين الطفل عن طريق الترنيمة أو الانشودة فى أول مراحل نموه ، تتطور معه الى المنظومات والمقطوعات الشعرية .

ومادة (قطع) فى أحد أصولها اللغوية تعنى: تقطيع الشعر أى : وزنه بأجزاء العروض وتجزئته بالأفعال . ومقطعات الشئ : طرائقه التى يتحلل اليها ويتركب عنها كمقطعات الكلام ، ومقطعات الشعر ومقاطعه . قال ابو عمرو : مقطعات الشعر : قصارها ، والمقطعات : الأبيات القصار ، وسميت الأراجيز مقطعات لقصرها ويروى أن جرير بن الخطفى كان بينه وبين رؤبة العجاج إختلاف فى شئ فقال : أما والله لئن سهرت له ليلة لأدعنه ، وقلما تغنى عنه مقطعاته ، يعنى أبيات الرجز(٢) والتشيد لغة : فعيل بمنعى مفعول والتشيد : الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضه بعضا . . قال الجعدى :

أنشد الناس ولا أنشدهم   إنما ينشد من كان أضل

والنشيد رفع الصوت وإنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت ، والنشيد من الأشعار"(٣) والرجز هو عمدة الأشعار القصار لأنه أخف على لسان المنشد واللسان به أسرع من القصيد . . وسمى – الرَجَز من الشعر لتقارب اجزائه وقلة حروفه وقال ابن سيده : والرجز شعر ابتداء اجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل فى السمع ، ويقع فى النفس ، والرجز بحر من بحور الشعر معروف ، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه منفرداً ، وتسمى قصائده أراجيز ، وأحدتها أرجوزة رجز الراجز يرجز رجزا ، وارتجز الرجاز ارتجازا : قال ارجوزة .. وأصل الرجز فى اللغه تتابع الحركات ، ومن ذلك قوله : ناقة رجزاء ، إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر لانه أقصر أبيات الشعر، والانتقال

(٢،١) نفسه ، مادة (رقص) ص ١٧٠٤

(٣) السابق ، مادة (نشد) ص ٤٤٢١ – ٤٤٢ .

من بيت الى بيت سريع" [1] وفى المعجم الوجيز ، الرجز : بحر من بحور الشعر ، أصل وزنه : مستفعلن ست مرات .

والارجوزة : المقطوعة من بحر الرجز (ج) اراجيز والراجز من ينشد الرجز او ينظمه)[2] . وفى العصر الحديث يرد د . مجدى وهبة الرجز على اساس انه وزن شعبى فيذكر : الرجز من البحور القديمة فى الشعر العربى ، وهو الوزن الشعبى الذى ساد فى العصر الجاهلى ، وكان لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة ، ويتكون بيته من مستفعلن مكررة ست مرات أو أربع . وأول من أطاله الأغلب العجلى الشاعر المخضرم"[3] . بينما قال الرواة(أن الشعر كله إنما كان رجزا وقطعا وإنه نما قصيد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وأمرؤ القيس . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلى ثم أتى العجاج بعده ، فأفتن فيه فالأغلب العجلى والعجاج فى الرجز كأمرئ قيس ومهلهل فى القصيد[4] .

الاشعار القصار بين الغناء والايقاع :

فى ضوء الاستقراء اللغوى السابق الاشارة إلى أن الأقدم من الأشعار هو الأقصر والأنقص ، والمستعمل للرقص هو الأخف من الأشعار والأقصر هى المتقدمة بالزمان لأن الطباع أسهل وقوعا عليها أولا . والأقصر هى التى تكون من نغمات أقل أيضا) [5] وأرسطو بتلك المقولة يرد نشأة الاشعار القصار إلى ميل الطبيعة البشرية إلى الانسجام والايقاع منذ فجر التاريخ وإمعان النظر فى اداب الشعوب القديمة يثبت بجلاء أن الميل أو الأحساس بالإيقاع والنغم ، غريزى لدى معظم الناس .

ويقال فى المأثور : فى البدء كان الايقاع ، إيقاع السير او نبض القلب أو حركة الجسم أو حركة الكون المنتظم . وقديما تحدث أفلاطون عن الايقاع على نحو يوحى بأنه يعتمد

---

(١) نفسه ، ص ١٥٨٨ - ١٥٨٩ .

(٢) المعجم الوجيز ، ص ٢٥٦ ، مجمع اللغه العربية ، القاهرة .

(٣) معجم المصطلحات الادب ، د . مجدى وهبة ، ص ٤٦٢ ، بيروت ، د . ت

(٤) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ، ص ١٣٥ .

(٥) تلخيص كتاب ارسطو فى الشعر ، تحقيق وتعليق د . محمد سليم سالم ص ٧٢ - ٧٣ ط القاهرة ١٩٧١ .

اساسا على الحركة فيذكر(انك تستطيع أن تميز الايقاع فى تحليق الطيور ، ونبض العروق، وخطوات الرقص ومقاطع الكلام[1] .

وتعليل علماء اللغه العرب لنشأة وتسمية الاشعار القصار القديمة ، يتفق ووجهة نظر ارسطو وافلاطون وغيرهما من المهتمين بأصول وقواعد الفنون والآداب ، فكلمة الإيقاع Rhyuthm تشتق فى اللغات الاوربية من لفظ Rhyuthmos اليونانى ، وهو بدوره مشتق من الفعل Rheein بمعنى ينساب أو يتدفق وفى اللغة العربية يرجع أن لفظ الأيقاع مشتق من التوقيع ، وهو نوع من المشية السريعة إذ يقال (وقع الرجل) أى مشى سراعا مع رفع يديه . ومن المعروف أن مشية الانسان من أهم الأصول الحيوية التى يرجع اليها الإيقاع . . فالانسياب حركة ، والمشى بدوره حركة وفى ذلك دليل قاطع على الارتباط الوثيق بين الايقاع والحركة كما تشهد به اللغة ذاتها [2] .

والارهاصات المبكرة لميلاد فن الشعر(*) وما تفرع من شجرته الأولى من أشكال وأوزان فى أدبنا العربى القديم تعود الى الكلام الموزون وللايقاع الخفيف المنغم ، الذى بدأ فى أصوله الاولى مع السجع وانتهى فى رحلة تطوره مع القصيدة(كان السجع وما يحمله من معادلة الفقر والتزام الايقاع فى كلام الانسان أول الميل لى التغنى به كما شاهد ذلك فى صغار الصبيان ، فيظن أن متغنيا بسجع قع له سجعتان متوارنان وزنا سهلاً ، (قيل ان الرجز) فاعجبه ذلك ومضى فيه ، وتمت له قطعة من الشعر ، راقت من سمعها وحاكوه فيها ، وتغنوا بها فكان من ذلك المقطعات ، الاراجيز القصيرة يحدون بها الابل ويعددون بها المكارم ، ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه امامهم نوعوا الاوزان وأطالوا القوافى وقصدوا القصيد)[3] .

ونستطيع بشئ من الرصد التاريخى أن نجد فى أغانى الحداء واغانى حفر الآبار وأناشيد الجهاد الحماسية وتلبيات قدامى العرب فى الجاهلية مايمثل الارهاصات المنطقية

---

(١) مع الموسيقى ، د . فؤاد زكريا ، ص ٦٠ ط الهيئة المصرية للتاليف والنشر ١٩٧١ م .
(٢) السابق ، ص ٥٧ .
(٣) الوسيط فى الادب العربى وتاريخه ، أحمد الاسكندرى واخرون ص ٤٣ .
* ليس من اليسيرحسم قضية ابتداء الشعر العربى ونشأته من زمن محدد أو عصر معين ، ولكن من السهولة تحديد "نوع" الشعر العربى فى اصوله الاولى انه بدأ وتطور غنائيا ، أما عن تحديد زمن نشأته=

الأولى عند الوجدان العربي للتعبير عن هذه الظواهر بالكلام الموزون المنغم ، فمن تلبيات القبائل قبل الاسلام :

لـبـيـك حـجـا حـقـا   تـعـبـدا ورقـا

ومنه ايضا :

لـبـيـك عـن سـعـد   وعـن بـنـيـهـا
وعـن نـسـاء خـلـفـهـا   تـعـنـيـهـا
سـارى الـى الـرحـمـة   تجـتـنـيـهـا

وتنوعت مثل هذه المقطعات أو الأقاويل الشعريه القصيرة فى الاغراض التى ذكرناها، فكانوا ينظمونها في سراهم ليلا حداء وينظمونها فى مناسباتهم وينشدونها حماسة فى أيامهم وحروبهم ويرددنها رجز فى تلبياتهم وتهليلاتهم واستطاع رجاز القبائل ان يستوعبوا تلك الاغراض فى لغة فصحى ميسرة تتردد على الألسنة ، ومنه بعد ظهور الإسلام قول هند بنت عتبة في يوم أحد :

ان تـقـبـلـوا تـعـانـق   ونـفـرش الـنـمـارق
أو تـدبـروا نـفـارق   فـراق غـيـر وامـق

وقال عبد الله بن رواحه بعد صلح الحديبية :

خلو بني الكفار عن سبيله
يـارب إنـي مـؤمـن بـقـيـلـه
أعرف حـق الـلـه فـي رسـولـه(١)

= فقيه التباين الواضح فى اراء القدامى ، وقد عزا بعضهم شعرا عربيا الى آدم ، بينما اورد اخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد اسماعيل ، واستقراء ايام العرب وتاريخ القابئل ، حروبها وادابها(ويرجح الرأى) السائد بان الشعر العربى فى اتم صورة يعود الى الفترات الزمنية التى سبقت ظهور الاسلام · انظر. مروج الذهب السعودى ، جـ ١ ص ٦٥ ، الاغانى للاصبهانى جـ ١٣ ص ١٠٤ ، المؤتلف والمختلف للامدى ، الفهرست لابن النديم، المفضليات للمفضل الضبى ، الاصمعيات للاصمعى ، ومن المحدثين : تاريخ العرب قل الاسلام لجواد على ، فى الادب الجاهلى د . طه حسين ، مصادر الشعر الجاهلى د . ناصر الاسد وغيرها .

(١) السيرة لابن هشام ، جـ ١ ص ١٥٥ .

وعلى كل حال تسمى الارجوزة عند علماء العربية قصيدة ، يقول ابن رشيق تسمى الارجوزة قصيدة طالت ابياتها أو قصرت ولا تسمى القصيدة ارجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز . . وليس ممتنع أن يسمى ما كثرت بيوته من شطور الرجز منهوكه قصيدة وقد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها وباسم القصيد ما طالت أبياته لأن اشتقاق القصيد من قصدت الى شئ كان الشاعر قصد الى عملها على تلك الهيئة والرجز مقصودا ايضا الى عمله كذلك .

فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان ،وكان العجاج وابنه رؤية يرجزان ومثلهما جرير والفرزدق ، وحميد والأرقط والعماني . . وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز[1] ومن يرجع الى مدلول الكلمات التي عبر بها الشعراء القدامى عن الغناء والترقيص في اشعارهم لمجزوءة يجد بعضها "يدل على ضروب من الحركات الجسمية كما يدل على ضروب من الشعر والهزج الذى يذكره اسحاق الموصلي يطلق على نوع من الغناء كما يطلق على نوع من الحركة الجسمية السريعة ، ومثله الرمل وكانوا يطلقونه على من يهز منكبين ويسرع في حركته وفي ذلك ما يدل على اقتران الغناء بالرقص من جهة ، وما يدل على اقتران الرقص بالشعر من جهة اخرى)[2] ومهما يكن من شئ فإن المنابع الاولى للأشعار القصار القديمة بخاصة فن الشعر بعامة تعود الى منابع الإيقاع الموسيقى والحركى في البيئة الجاهلية من ناحية وإلى الغناء من ناحية ، فالايقاع منبه للحواس ومثير للخيال ، والغناء ميل غريزى في الطبيعة البشرية ، ومن هنا (كان تأثير الغناء في موسيقى هذا الشعر الغنائي أوسع من تأثيره في معنيه)[3] وبالامكان القول كذلك أن الأداء الحركي في الحرب وأغاني العمل وعند الحداء من ضبط الحركات وتنظيمها في تشكيل مرتب هو الذى تناغم في جانب آخر مع بداية ميل الانسان للغناء على ضربات المغنين وإيقاعات الراقصين وبالتالي نشأ الوزن والايقاع* في الشعر . وإذا كانت بذرة

---

(١) العمدة ،لابن رشيق ، ص ١٣٠ – ١٣٢

(٢، ٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د . شوقي ضيف ، ص ٤٨ – ٧٠ .

* نشأ الشعر فيما يرى ابن رشد بسبب ميل الطبيعة البشرية الى الانسجام والايقاع فيذكر : ان السبب المولد للشعر في قوة الانسان ، شيئان ، اعنى ان هذا الفعل يوجد للناس هم اطفال وثانيهما التذاذ الانسان بالوزن والالحان أى الانسجام والإيقاع، انظر : تلخيص كتاب ارسطو في الشعر لابن رشد ، بتحقيق محمد سالم ص ٦٩ – ٧٠ ط القاهرة ١٩٧١ وفن الشعر د . عبد الرحمن بدوى .

السجع ** فى تربة الأدب العربى القديم أنبتت مع غيرها فن الشعر بتطور اشكاله وأوزانه ، فإن علماء اللغه نهضوا بمهمة تقعيد القواعد للشعر تمييزا له عن النثر وعن الفقرات المسجوعة(فالنثر والشعر يستخدمان نفس الكلمات نفسها والتراكيب النحوية نفسها ، والاصوت نفسها ، ولكن مع اختلاف فى الاستثارة والتنسيق)[(١)] لاجرم أن الخليل ابن أحمد هو الرائد فى مجاله يوم التفت الى تقعيد بحور الشعر العربى وأوزانه وتأصيلها فى علم العروض – ليحدث وللآن – والتنسيق أو النظام العروض الذى يميز الشعر عن النثر ، يقول ابن خلكان فى ذلك (معرفة الخليل صاحب العروض بالايقاع هى التى أحدثت له علم العروض)[(٢)] .

وقد يقول قائل : لم رصدنا العناصر الآنفة فى ادبنا العربى القديم ؟ إن الاجابة عن تلك المقولة تكمن فى العلاقة الوثيقة بين عالم الطفل المولع بالايقاع وبين الكلام الموزون المنغم الموقع وبالتالى فإن تتبع تعريفات الايقاع الصوتى والحركى ، وما صاحب هذا الايقاع من الغناء كلام موزون يتفق كما ألمحنا مع العالم الاثيرى للطفل من ناحية ، ويعمق من فكرة وجود إرهاصات لمعايير فنون الطفل الشعرية فى تراثنا الأدبى القديم ومن أهمها أغانى الترقيص ، والأشعار القصار من ناحية أخرى وتكاد تتفق رؤية المؤلف فى هذه الناحية مع رؤيه "بول فاليرى حول الشعر والفكر فيذكر(..وما أن يتعلم الطفل استخدام قدميه حتى يكتشف أن لايمكن السير فحسب بل الجرى أيضا وليس الجرى والسير فقط ، بل الرقص وعندما يكون وحيداً" سيردد على نفسه ما يجب من كلمات ، وهكذا فبالتوازى مع السير والرقص ، يكتسب الطفل ويميز نمطى الكتابة المتعارضين : النثر والشعر)[(٣)] .

وقديما قال ابن رشيق القيروانى وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور . لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديه ، فإذا اتفقت الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة ولم يكن

** يميل المؤلف الى تخريجات القدامى بان التشكيل الموسيقي والعروضى للاشعار القصار فى الادب العربى القديم تخلق بداياً بين حنايا النثر المسجوع الذى نما الى الكلام موزون وهى اسجاع تختلف فى بنيتها عن النثر الفنى الذى نجده فى المقامات والخطب ، وكتاب العلامة ابن فارس الرازى – ٣٩٥ هـ) الاتباع والمزاوجة(نسخة مخطوطة بادر الكتب المصرية برقم ش لغة) مثلا لاسجاع الكلام الموزون ، قال فى مقدمته وتحريت ما كان كالمقفى وتركت ماختلف رويه ، أما فن الشعر فقد اكتملت صورته بتقعيد عروضه واوزانه فالعرب توهموا اعاريضة وضروبه وقوافيه فى زمن الجمع والتدوين فى القرون الهجرية الاولى .

(١) مجله فصول ، مقاله الشعر والفكر المجرد ، بول فاليرى مج ٧ ، ع ١/٢ ص ٣١٤ أكتوبر ١٩٨٦

(٢) وفيات الاعيان ، لابن خلكان جـ ١ ، ص ١٧٢ .

(٣) مجلة فصول ، المرجع السابق ، ٣١٤ مقالة الشعر والفكر المجرد . ص ٢١٪ .

لأحدما فضل على الأخرى كان الحكم ظاهرا فى التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه فى معترف العادة(١) .

والظاهر أن مقولة صاحب العمدة هو الميل الى تفضيل الشعر على النثر(*) لكن الذى نرجحه من استقراء تلك المقولة هو التفاوت فى مراتب المنظوم والمنثور. والذى يهمنا:مراتب الشعر ، فالشعر الجيد وهو فى أعلى الطبقات ؛ ثم اوسطه ؛ فضعيف فى آخر الامر .

ليس هناك خلاف على أن الشعر الذى قصده فى أعلى مراتب الشعر يمكن أن نطلق عليه شعر العربية الموجه للكبار بمستوياته الصحيحة الفصيحه وفى لغه وتشكيله المعمارى وعروضا وأوزانا ، والمضمون المحكم فى أفكار قصيده ، أما "ردية" فمن الضعف بحيث يتضمن الاغلاط التى نقيس بها الاحكام على أى شعر راق: فهى أشعار ردية لأن بها اغاليط لغوية أو عروضية ، أوشابها فساد أوضعف فى المضمون ، وتبقى الطبقة المتوسطة من الشعر فهى ليست بشعر ردئ أو من شعر الطبقة العالية وإنما تقف بينهما موقف القصد والاعتدال فى المستويين: اللغوى والفنى ، ولا يمكن الجزم بعبارة ابن رشيق حول الشعر والنثر ، وإنما عنى بالضرورة عند المساواة بين النوعين النثر والشعرز ، اذ يحسب للشعر التميز عن النثر .

وتحليل مقولة ابن رشيق يفصح لنا عن امكانية وصف شعر الطفل الموروث بأنه يندرج تحت المرتبة الوسطى من المراتب التى حددها ابن رشيق فاللغة سهلة ميسرة ، والبحور قصيرة ، والاوزان خفيفة، ولا يمكننا القطع بأن المضامين أو الغايات فى شعر الطفل ومقطوعاته القصار تحمل الأغلاط ، لأنها مضامين تربوية ووجدانية مقاصدها التعليم والتهذيب والتسلية والمتعة الروحية .

كما لا توجد غالبا فى الأشعار القصار الألفاظ الوحشية أو الرموز المستغفلة وإنما ينساب البيان فى عقل الطفل ومخيلته فى سهولة ويسر ، وقديما قال ابو الحسن الرمانى فى معنى البيان:(البيان هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله وإنما قيل

(١) العمده فى صناعة الشعر ، ونقده ،لابن رشيق ، ص ١٥

* اختلف أراء النقاد القدامى حول تفضيل ايهما على الاخر ، انظر مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ، جـ ١ ص ٧ – ١٣ لجنة التاليف والنشر ١٩٦٧ م .

ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق أسم بيان)[1] .

أما عبارة ابن جني التي أوردها كتابه الخصائص(قوة اللفظ لقوة المعنى) فتعني أن المعاني في الشعر يمكن أن تكون بمثابة وعاء يحمل أفكار الشاعر ومقدرته على التحليق وإعمال الخيال والايحاء والرمز ، إذا فالمقطوعات الشعرية القصيرة المناسبة للأطفال لا تحتمل الأحكام التي نطلقها على القصائد المحكمة (شعر الكبار) في طبقته العالية في مستواه اللغوي الخاص به .

ويعلق الدكتور شوقي ضيف أهمية كبرى على فن الرجز بأنه أصبح يتناول (كل) ما تتناوله القصيدة من موضوعات ، والتعميم الذي ذكره الدكتور شوقي ضيف (بكل ما تتناوله القصيدة من موضوعات) لا يمكن القطع به ، لان الفروق البنائية والمضمونية بين الأشعار والاراجيز تثبت عكس ذلك إذ المادة اللغوية البنائية للأرجوزة بسيطة وقصيرة فلا تحمل بالتالي كل الأفكار والمضامين التي يقصدها الشعراء . يقول د . شوقي ضيف"وتعهد الرجاز فن الرجز ، حتى اصبح لايقل عن فن القصيد أهمية ، فالارجوزة لم تعد ابياتا معدودة تنشد في الحروب أو في الحداء أو في الغناء أثناء العمل بل أصبحت تتناول كل ما تتناوله القصيدة من مضوعات وطالت طولا مسرفا)[2] . فالاراجيز لاتحمل في بنيتها مقدمات الشعراء في مطالع قصائدهم كالتشبيب والنسيب والطلل كما لا تحتمل الاراجيز مثلا تنوع الأفكار عند الشاعر في الانتقال من المقدمة الطلية إلى الغزل ، وما يصاحب ذلك من ذوق مميز للقصائد . أما الأشعار القصار فأهم ما يميزها التجزئة . وقد عاد د . شوقي ليؤكد الفكرة الأخيرة في ذات المؤلف فيذكر"وليس من شك في أنه(الرجز) شعر ، وغاية ما في الامر أنه كان يقترن بضروب كثيرة من الغناء في الحماسة والحروب والسقي من الابار، كما يقترن بالحداء فكثر الحذف وكثرت التجزئة والاضطراب)[3] .

بقي الاشارة الى ارتباط الشعر العربي(رجزه وقصيدة) بالغنائية Lyricsm قال حسان بن ثابت :

تغن بالشعر أما أنت قائلة   إن الغناء لهذا الشعر مضمار

فهو في جملته شعر غنائي مهما تعددت أشكاله ، وتنوعت أوزانه ، وكثرت أغراضه ، وقد المح ابن خلدون إلى اقتران الشعر بفن الغناء فيذكر:(وكان الغناء في الصدر الاول من

---

(١) العمدة ص ١٦٧ .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي . د . شوقي ضيف ص ٣٥ .

(٣) السابق ، ص ٥٢ .

اجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذا الغناء انما هو تلحينه [١] وشعرنا من هذا الجانب شعر غنائى Lyricsm الى جانب الموسيقى الداخلية والخارجية به . فالموسيقى تضفى على الشعر الايقاع والانتباه وتزيد من قدرة الألفاظ على التعبير والتأثير . والتقط الذوق العربى عنصر الموسيقى فى الشعر وراح يتعهدها بالابداع والدرس والتأليف ، ومن الثابت أن استمتاع الطفل بالكلام الموزون فى شكل منظومات غنائية بمثابة نتاج ادبى مألوف فى التراث العربى ، وقد توفر على تلك المقطوعات الشعرية بالتهذيب والتدوين والانشاء طبقة من المعلمين والمؤدبين والرجاز ، وفى جانب أخر كانت المربيات والجوارى والأمهات والجدات يلقن الصبية تلك المنظومات الخفيفة بحيث كانت تلائم تلك الاشعار القصار القديمة عقل الطفل وإدراكه مما حقق المنفعة والمتعة ، فاقتران المنظومات الشعريه بالغناء يفسر لنا اتكاء الشعر على الغناء ، والعكس صحيح ، سواء فى الاراجيز أو القصائد يقول د . طه حسين (.. ولم نشهد فى لغتنا العربية الى الان فيما يظهر غناء اعتمد على النثردون الشعر وإنماء الغناء العربى كله يعتمد على الشعر مهما يكن نوع النظم الذى يلجأ اليه ... ووزن الشعر العربى ، إنما هو أثر من أثار الموسيقى والغناء ، فالشعر فى أول أمره غناء ، ومن ذكر الغناء قد ذكر اللحن والنغم والتقطيع)[٢] فالايقاع الصوتى والنغم الموزون من القسمات الجوهرية فى أصول شعرنا العربى،وهذا لا يقلل من قيمة الشعر العربى فهو فى جملته شعر غنائى ، ويتغنى به الرجاز والشعراء فى مقطعاتهم الشعرية أوقصائدهم الطوال ، لأن الأهم فى غنائية الشعر العربى جودته فى التعبير والتأثير فى حياة الجماعة أو الأمة وتقاس جودة الشعر فى أدب أى أمة بأنه أجاد لم يجد فى سياق استقراء خصائص النوع الذى اشتمل عليه .

إن إزدراء أشكال التعبير الشعرى للأطفال غلولا يلائم الباحثين عن العلم وشطط لايدل على اصابة كبد الحقيقة فالثابت على سبيل الاستشهاد – أن القصائد الطوال المعروفة"بالمعلقات" بمضمونها وبنيتها لا توافق ذهنية الطفل وإدراكه ، وهى من روائع فن

(١) مقدمة ابن خلدون ، لابن خلدون ، ص ٥٢٢ ، دار الشعب د . ت .
(٢) فى الادب الجاهلى ، د . طه حسين ، ص ٣٢٤ . دار المعارف ط ١٩٨٤ .

الشعر العربى القديم ، لأسباب تتصل باشكالية النمو اللغوى والمعرفى عند الطفل وهذا يدلنا على أن الاشعار القصار القديمة ذات البحور الخفيفة بمضونها وبنيتها اللغوية السهلة ، وايقاعها الموسيقى المنغم أقرب الى ذوق الطفل وفهمه من القصائد الطوال الجاهليات التى أشرنا إليها .

إن الفروق بين عقلية الكبار والصغار ودرجة الإدراك عندهما ، هما الرائد أمامنا فى الأحكام التى نطلقها عليها عندما نريد التمييز بين فن الشعر :(شعر للكبار أم فى شعر للأطفال). وبعد: فإن اهازيج الطفل وترقيصه بالأبيات الشعرية المجزووة فى مقطوعات شعرية قصيرة ، سهلة لها أهميتها وتأثيرها فى استثارة الميول الوجدانية عنده ، بسحر الإيقاع والغناء بالكلام الموزون* .

أغانى الترقيص اذاً أو الترانيم الغنائية للطفل لها جذورها فى الأدب العربى الرسمى: كما وجدت الأشكال الشعبية من أغانى الاطفال المصاحبة لالعابهم فى الادب الشعبى غير ان تلك الأغانى الشعرية خضعت لتغييرات بنائية على وجه الخصوص فى أدبنا الشعبى الموروث لأن سمة التغيير بالحذف والتعديل أو الاضافة فى أسلوب ومادة الأدب الشعبى من ابرز خصائصه الدالة عليه .

وهذه الترنيمات الغنائية (أو الأمهودات الشعرية) تجدها فى أمهات كتب اللغة والأدب عند العرب (فترقيص الصبيان بالغناء والكلام الموزون من طبائع الانسان أنى وجد ، وكان من الخصال الحميدة التى يتوخونها (العرب) لتربية الطفل وتهذيبه ، ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية)[١] وأغانى ترقيص الطفل تعد فى ضوء ذلك من الاشعار القصار أو الاشعار المقطعية ، لأن الغناء للطفل يجئ دائما بالكلام الموزون المقفى ، فان طبيعة التلقى

---

* يميل المؤلف الى الرأى القائل .(نحن نسلم بالتقسيم الذى اتخذه بعض الفلاسفة بين الاغانى ، ونميزكما بين الغناء الادبى ، والغناء الحماسى ، والغناء الشهوى ...) .
انظر السياسة لأرسطو ترجمة احمد لطفى االسيد ، ص ٣٠٥ ، ط القاهرة ١٩٤٧ . م

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د . احمد عيسى بك، المقدمة ، ط بولاق ١٩٣٦ م .

عند الصغير تحتاج الى وزن عروض من نوع مميز له ، وقافية سهلة أهم ما يميزها موسيقية الايقاع النغمى والصوتى . ولذلك تلائم البحور المجزوءة هذا اللون من الشعر الغنائى المقطعى ، فهو إذا على قصر بحوره وقصر مقطعاته الشعرية من الوحدات الموزونه المقفاه وهذه الوحدات أهم مايميزها أستخدامها بحر الرجز فى قافية مزدوجة .

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن كتب اللغة والأدب والأخبار والسيرة غاصة بالاشعار القصار ، أو الترنيمات الشعرية القصيرة ، المقرونة بالغناء والايقاع والكلام الموزون .

والصفحات التالية من هذا المبحث تعرض لم (انتخبناه) من تلك المقطعات الشعرية ذات العلاقة بالطفل من فترة المهد الى ان يبلغ الحلم فالنشئ الصغير بحاجة الى التطريب والتهذيب وإستثشارة وجدانه وفى ذلك يقول الشاعر (١)

ياسائلى عن أدب الخبرة　　　أحسن فيه أدب العشرة

وقال أهل الطب : أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفوا له الدم وتنموا له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام علي أثر البكاء حتى يرقص () والطفل ميال بطبيعته الى الاستجابة التغنى على أصوات الكلام المنغوم ، ويميل كذلك ويطرب لسحر الإيقاع الموزون ، خاصة مما يصدر عن أمه فى فترة مهدة من كلمات الهدهدة (تهنين الطفل بالكلام الموزون فى ايقاع منغوم) .

ونحن نعرف الأسلوب الذى تستخدمه الأم مع صغيرها وهى تربت على صدره بيد حانية وكلمات رقيقة فهى تستخدم اذا الحركة الموقعة المرتبة المرة تلو المرة ، مع الكلمة

---

(١) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، للبطليوسى ، تحقيق مصطفى السقا د . حامد عبد المجيد جـ١ طـ الهيئة المصرية العامة لكتاب ، ١٩٨١ . م

المصاحبة للحركة فى اسلوب شعرى بسيط ومنغوم وهى فيما اعتقد أول علاقة للطفل مع الشعر الذى ينمو ويتطور مع الطفل بتطور مراحل نموه ، ثم تتولد من بعد أغانى الترقيص القصيرة والتى يعقبها النشيد والمقطوعة الشعرية ، فالأم بفطرتها هى المنبع الأول لأغانى الطفل فى فترة المهد فى حاضنته ومربيته والمؤدبة له .

مختارات من أغانى ترقيص الطفل فى التراث :

كانت الشيماء أخت رسوا الله (ﷺ) من الرضاعة ترقصه فيمهده وتقول[1]

هـذا أخ لـى لـم تـلـده أمـى
ولـيس مـن نـسـل ابـى وعمـى
فـانمـه الـلـه فـيـمـا تـنـمـى

وقال الحسن البصرى يرقص ابنه:[2]

يـا حـبـذا أرواحـه ونـفـسـه
وحـبـذا نـسـمـه ومـلـمـسـه
والـلـه يـبـقـيـه لـنـا ويـحـرسـه
حـتـى يـجـر ثـوبـه ويـلـبـسـه

وضم العباس بن عبد المطلب ابنه الى صدره يوم فتح وانشده:[3]

يا قثم يا قثم   يا شبه ذى الكرم

دخل رسول الله(ﷺ) على عمه الزبير بن عبد المطلب هو صبى فأقعده فى حجرة وقال :[4]

مـحـمـد بـن عـبـدم   عـشـت بـعـيـش أنـعـم   ودولـة ومـغـنـم
فـى فـرع عـز أسـنـم   مـكـرم مـعـظـم .

---

(١) المستطرف فى كل فن مستظرف ، للابشيهى ، جـ ١ ، ص١٤ .
(٢) الغناء للأطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى بك ، ص ١ .
(٣) السابق ، ص ٨٩ .
(٤) طبقات ابن سعد ، جـ ٤ ص ١٠ .

ومنه ترقيص العباس وهو يومئذ صبى ، أنشد الزبير بن عبد المطلب يقول لأخيه العباس :[1]

إن أخى عباس عف ذو كرم ... فيه عن العوراء ان قيلت صمم
يراتاح للمجد ويوفى بالذمم ... وينحر الكوماء فى اليوم الشيم

أكرم بأعراقك من خال وعم

وعندما دخل ضرار بن عبد المطلب على أخيه الزبير وكان أصغر من العباس بن عبد المطلب قال يرقصه شعرا:[2]

ظنى بمياس ضرار خير ظن ... أن يشترى الحمد ويغلى بالثمن
ينحر للأضياف ربات السمن ... ويضرب الكبش الباس ارحجن

ومما يروى عن الزبير بن عبد المطلب ترقيصه (المغيث) أحد ابناء جاريته ، فانشده مؤدباً[3]

وإن ظنى بمغيث أن كبر ... إن يسرق الحج إذا الحج كثر
ويوقر الاعيار من قرف الشجر ... ويأمر العبد بليل يعتذر

واشتهر الزبير بترقيص أولاده وأخوته وأبناء أخوتهه على نحو ما ذكرنا وقد دخلت عليه أبنته أم الحكم وهى يومئذ صغيرة فقال :[4]

يا حبذا أم الحكم ... كأنها رميم أجم
يابعلها ماذا يشم ... ساهم فيها فسهم

وكان عبد المطلب بن هاشم يرقص بابنه الزبير فيقول :

يا بأبى يا بأبى يابأبى* ... كأنه فى العز قيس بن عدى

فى دار قيس ينتدى أهل الندى

---

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د . احمد عيسى بك ، ص ٢ – ٣.
(٢) السابق ، ص ٢٢ – ٣٢ .
(٣) السابق ، ص ٢٥
(٤) الامالى ،لأبى على القالى ، جـ٢ ، ص ١١ .
(*) الفهرست ، لابن النديم ، ص ١١٢ (البابا ، ممدود ترقيص المرأة ولدها تناغيه بهذا الكلام ، بابا الصبى ابوه اذا قال له بابا).

ومنه أن أم عمر بن شبه كانت ترقص ولدها وتقول :[1]

بابا وشب وعاش حتى دب شيخا كبيرا أحنى

وقريب منه مدح الحسن البصرى لابنه والدعاء له بأغانى الترقيص قول اعرابى يرقص ابنه:[2]

يا حبذا روحه وملمسه أملح شئ ظلا وأكيسه

الله يرعاه لى ويحرسه

وقال رجل يرقص ابنه :

والله ما أشبهنى عصام لاخلق منه ولا قوام

ومنه قول اعراب يرقص ابنته فى مغزى حب أسرى صاف :[3]

بنيتى ريحانة اشمها فديت بنتى وفدتنى أمها

وفى محاضرات الأدباء للراغب هذه الترنيمة التى تروى على لسان اعربية ترقص ابنة لها فتقول :[4]

وما على أن تكون جاريه تكنس بيتى وترد العاريه
تمشط رأسى وتكون الغاليه وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه رديتها ببردة يمانيه
زوجتها مروان أو معاوية أمهار صدق ومهور غاليه

ووردت اغنية الترقيص السابقة برواية مختلفة وناقصة فى كتاب المستطرف :"تزوج أعرابى بامرأتين فولدت أحدهما جارية والاخرى غلاما فرقصته امه وقالت معايرة لضرتها:

---

(١) الفهرست ، لابن النديم ، ص ١١٢ .
(٢) محاضرات الادباء ، للراغب الاصفهانى ، جـ ١ و ، ص ١٥٦ .
(٣) السابق ، ص ١٥٧ .
(٤) السابق ، نفسه .

الحمد لله الحميد العالى أنقذنى فى العام من الجوالى
من كل شرها كشن بالى لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما على أن تكون جاريه تغسل رأسى وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريه حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أرزتها بنقبة يمانيه انكحتها مروان أو معاويه

أصار صدق غاليه(١)

وشهدت البيئة العربية فى العصر الجاهلى فى ظل الحضارة الأسلامية رواجًا كبيراً لأغانى ترقيص الطفل أو أغانى المهد ، وكانت هذه الأمهودات الشعرية صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والنفسية ، ومما يروى فى ذلك أن أمرأة كانت أبنتها وتناغيها وهى تومئ بالحديث إلى زوجها ، وكان يدعى أبا حمزه الضبى وقد هجرها لانها لاتلد الذكور ، وتصادف أن مر بخباء امرأته يوما فوجدها ترقص ابنته بكلمات منغومة ، فيها عتاب رقيق لزوجها وهددة لطيفة لابنتها وعندما سمعها تقول :

ونحن كالارض لزاعينا ننبت ما قد زرعوه فينا

دخل البيت الذى كان قد هجره واعتذر لزوجه وقبل ابنته وهو يستعيد من زوجته قولها:

مالابى حمزة لا يأتينا يظل البيت الذى لينا
غضبان ألا نلد البنينا تالله... ماذلك فى أيدينا
وأنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالارض لزاعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا*

---

(١) المستطرف من كل فن مستطرف ، للابشيهى ، جـ ٢ ، ص ١٠ – ١١ .

* تتفق أمهودة الترقيص التى تغنت بها المرأة العربية مع النتائج الطبية العملية المعاصرة التى تؤكد مسئولية الرجل فى تحديد النوع الانسانى .

فهذا الشعر يدل على أن هذه الاعرابية قد رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الى بيت قريب منها ، ويدل على ضرب من المعاملات ، وعلى أحوال الاجتماع وعلى ما للمرأة من رقة الاخلاق ولين الجانب قالوا ولما سمع زوجها هذا النشيد هم بتقبيلها هى وابنتها ، فكان ذلك سبباً لرجوعه الى زوجته)[1] ومنه ما يرويه أبو الفرج فى الاغانى :(تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه قومه فراجعها ، فبينما هو فى بيته يوما اذا سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحركة ذلك ورق لها ، فقام اليها فاخذها وجعل ينزيها ، ثم انشد يرقصها بالغناء :

يا بنت من لم يك يهوى بنتا
ما كنت الاخمسة أو ستا
حتى حللت فى الحشى وحتى
فتت قلبى من نجوى فانفتا
لانت خير من غلام انتا
يصبح مخموراً ويمسى سبتا[2]

والملاحظ فى هذه المقطوعة فطنة الراجز لأهمية عنصر الالحاح فى الحنو بتكرار الالفاظ فى ايقاع جميل مما يلذ له الطفل امهودة طريقة اشترك فيها الاب والام فى تناوب منهما هاهى لترقيص اينهما ، قال قيس بن عاصم الصحابى يرقص ولده(حكما):

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل	ولا تكونن كلهوف وكل
يصبح فى مضجعه قد انجدل	وأرق إلى الخيرات زنا فى الجبل

فردت ام الصبى على ابيه ترقص ولدها :

أشبه أخى أو أشبهن أباكا
أما أبى فلن تنال ذاكا
تقصر أن تتناله يداكا[3]

---

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ ، جـ ص ١٠٤ .
(٢) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . احمد ضيف ، ص ٦٥ - ٦٦ .
(٣) الاغانى ، للاصفهانى ، جـ ١٠ ، ص ٤٠٨ ط الهيئة مصرية للكتاب .

يقول قيس ابن عاصم لابنه حكيم فى الامهودة السابقة:"أشبه أبا أمك أو أشبه خالك" عمل" فترد عليه زوجا منفوسةَ بنت زيد الفوارس وهى ترقصه وتقول له : أشبه أخى أو أباك أما أبى فلن تشبه بحال .

وكان الزبير بن العوام يرقص ولده ويقول:(١)

أزهـر مـن آل أبـى عـتـيـق
مـبـارك مـن ولـد الـصـديـق
الـذه كـمـا الـذ ريـقـى

ومما يروى أن أعرابية كانت ترقص ولدها وتقول :(٢)

يـا حـبـذا ريـح الـولـد — ريح الخدامى فى البلد
أهـكـذا اقـل ولـد — أم لـم مـثـلـى أحـد

والولد هو الثروة فى جانبها البشرى ، يقول أحد الإعراب فى فخر بولده وهو يرقصه بالغناء :

أحبه حب الشحيح ماله
قد ذاق طعم الفقر ثم ناله
إذا أراد بذله بدا له(٣)

مات أحد قطاع الطريق ، وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول :

ياليته ما قطع الطريقا — ولم يرد فى أمره رفيقا
وقد أخاف الفج والمضيقا — فقل أن كان به شفيقا

---

(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى بك ، ص ٥٥ – ٧٧ .
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٧٨ ، والمستطرف فى كل فن مستطرف ، بنفس الرواية بينما ورد هذا الترقيص فى كتاب الغناء للاطفال عند العرب للدكتور أحمد عيسى بتغيير طفيف (ابيض من آل بدلا من أزهر من آل) .
(٣) الغناء للاطفال عند العرب د . أحمد عيسى بك .

وقال اعرابى يرقص ولده :[1]

أعرف منه قلة النعاس   وخفة من رأسه لرأسى

وكانت السيدة فاطمة بيت رسول الله (ﷺ) ترقص ابنها الحسين بن على وتقول:

ان بنى شبه النبى   ليس شبيها بعلى (*)

ومن أقصر أغانى الطفل ترقيص رسول الله (ﷺ) للحسن والحسين وفى الحديث أن النبىﷺ كان يرقص الحسن والحسين ويقول :

حزقة حزقة   ترق عين بقة **

رجل حذق وحزق : قصير يقارب الخطو وحذقة مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوق تقديره أنت حزقة وحزقة الثاني كذلك أو خبر مكرر ومن لا ينون حزقة الأول آراد حذف بالنداء ، ترق بمعنى أصعد أو أعل عين بقة : ياعين البقة كناية عن الصغر لأن عين البقة صغيرة جدا ، فكان الحسين يرقى حتى يضع قدمية على صدر النبى(ﷺ) . قال ابن الأثير : ذكرها على سيل المداعبة والتأنيس له[2] .

ومنه هذه الأغنية الطريقة المقرونه باللعب وهى تدلنا على مدى معرفة الأوائل باللعب ، بل وأهمية اللعب فى حياة الطفل تقول الامهودة على لسان أم مسعود بن عمرو وهى ترقص ولدها بهذه الابيات :

لا منحن بيه   جارية فى قبه   تمشط رأس لعبه[3]

فالمرأة العربية تعد وليدها الغض السمين (ببه) الممتلئ نعمة بفتاة (عروس تنتظره) فى خباء صغير ، وتلهو معه بتمشيط اللعبة والتمثال ومنه ما ورد فى اللسان لابن منظور:

قالت هند بنت أبى سليمان ترقص ابنها عبد الله بن الحارث:

لأمنحن ببه   جارية خديه   مكرمة محسبة تحب أهل الكعبة

وقالت امرأة من قريش ترقص ولدها :

أحبك والرحمن   حب قريش عثمان   إذا دعا بالميزان

(*) السابق ، نفسه ويلاحظ أن "بنى" و"بعلى" بالتخفيف لضرورة وزن الشعر.
انظر : كتاب الغناء للاطفال عند العرب .

** ومانتا بإق وحزق من لسان العرب لابن منظور .

(٣) الغناء للاطفال عند د . العرب د . أحمد عيسي بك ص ٨٢ .

ومما يروى نقلاً عن كتاب أنباء نجباء الأبناء :

مر عبد المطلب بن هاشم ذات يوم على ولده العباس وهو يومئذ صغير يلعب مع اتراب له، فسمع احدهم يتحدث بكلام قبيح ، وابنه العباس يقول له"ويت لالعبت معنا ، إنك بذاء الشعر قؤول بالخناء . فاكب عليه عبد المطلب فاحتمله وجعل يرتجز ويقول:

لـم يـنـمـى عـمـرو ولاقـص
ان لـم يـسـود فـتـى لـؤى

واغنية الترقيص السابقة تعكس الرؤية الاخلاقية فى التربية الاسلامية من جانب ، وتقدم لنا صورة اجتماعية الصغار حل اللعب من جانب آخر . وعندما ينمو الطفل تنمو معه أغانى الترقيص ، فى مادتها(لغة واسلوبا) وفى تغذية عقل الطفل ووجدانه بأفكار جديدة ، محورها تهيئة الصبى لمستقبل ينتنظره فيصير رجلا قويا يدافع عن عشيرته وقبيلته ، دمادة الترقيص بالكلام الموزون تميل الى حمل مضامين الفخر فى أغلب نماذجها ، على عكس مضمون أغانى المهد التى عرضناها والممثلة لأغانى فترة المهد حيث تجنح الى تسلية الصغير وتطزيبه واظهار عاطفة الحب الابوى نحوه أو وصف محاسنه الخلقية ومنه أن أم الأحنف بن قيس كانت ترقص ولدها الضحاك وتقول:(١)

والـلـه لـو حـنـف فـى رجـلـه	ودقـة فـى سـاقـه مـن هـزلـه
وقـلـة اخـفـاهـا مـن نـسـلـه	مـا كـان فـى الحـى غـلام مـثـلـه

ومنه ايضا ما قاله اعرابى يرقص وحيدته :

كـريـمـة يـحـبـهـا أبـوهـا	مليحة العينين عذبا عذبا فوها

لا تحسن السب وان سبوها (٢)

(١) محاضرات الادباء للراغب الاصفهانى ، جـ ١ ص ١٥٦ .

(٢) المعارف لابى قتيبة ص ، ص ٦٣ .

صورة مجملة

حاولنا تقديم صورة تراثية مجملة للشعر العربى حول الطفولة واستتبع ذلك تقديم عدة شواهد شعرية متنوعة لادبيات شعر الطفل ، أنشدها الرجاز والشعراء والاعراب ، والاباء ، والامهات حول الاطفال فى أغراض مختلفة ، أو ما صدر عن الشعراء (فى طفولتهم) من شعر يترجم لمرحلة الصبا التى انشأوا خلالها أبياتهم ومقطعاتهم الشعرية ، ثم عرضنا لجانب هام من جوانب شعر الطفولة المتمثل فى أغانى ترقيص الطفل بالغناء الادبى فى منظومات قصيرة طوع لها بحر الرجز ومجزوء البحور الشعرية الاخرى وقد حرص منشئو هذه الاغانى الادبية للاطفال على أهمية أشباع تلك الاغانى لعنصرى الانسجام والايقاع ، لما يحققانه من متعة وفائدة فى تطريب الطفل وهدهدته بالغناء بكلام موزون له سحره وتاثيره عند الطفل كميل طبيعى وغريزى عنده ، وكان من الضرورى ونحن نستقرى صورة الطفل فى التراث الشعرى أن نسير أغوار نشأة الشعر بعامة والاشعار القصار بخاصة نظرا لعلاقة البحور القصيرة والمقطعات الشعرية بالطفل وأغانيه واناشيده ولعل ما يثبت صحة ما رصدناه ما انشده ابو جعفر أحمد اللمائى الكاتب .. فى الغناء والايقاع قوله :

غـنـــى ولـــلايــقـــاع فـــوق بـيـــان مـنـطـقـــة بـيـــان

وكانما يده فم وقضيبه فيها لسان [1]

وقد أشرنا فى عجالة الى وجود الاغانى الشعبية وبابات خيال الظل فى تراثنا الشعبى وهى على اهميتها البالغة بالنسبة للطفل تحتاج الى بحوث مستقلة لدراسى الادب الشعبى، وليس مجالها هنا ، لذلك جاء رصدنا لمختارات الشعر العربى ومناسبتها كذلك ازجال بابات خيال الظل بمثابة مادة خصبة للجمع والدرس الجامعى للباحثين فى الادب الشعبى، والنص الادبى المدون فى الادب الرسمى لا يخضع للتغيير كما يحدث فى الادب الشعبى ، ومنه ذلكم النص الذى يردده الاطفال بروايتين مختلفين :

أولاهما : "حادى بادى .. سيدى محمد البغدادى .. ليلة الجمعة اوقد لك شمعة".

والثانية : "حادى بادى .. اعطينى مرادى .. ليلة الجمعة اشعلك شمعة"[2] .

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ، مج ٢ جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٢) مجلة التراث الشعبى ، ص .. ٨١ ، العدد ١٥ ، بغداد ١٩٨٧ .

فالنص على ما به من جذور تراثية "الحادى من اغانى الحداء" و"البادى من البدء والاستهلال . فان النصوص الشعرية فى الأدب الشعبى تخضع فى معظمها للتعديل تبعا للاستعمال جيلا بعد جيل . لذلك عرضنا الشعر الغنائى حول الطفل فى الادب الرسمى على نحو ماقدمنا من ترانيم، تجمع بين التطريب والتهذيب ،وأشرنا الى صورة الطفل فى الادب الوصفى من خلال القصائد المقطعية أو المقطعات الشعرية .

ولكن الشئ الهام فيما يتصل برؤية العقل العربى الاسلامى تجاه تأديب النشئ وتعليمه، ومدى انعكاس تلك الرؤية على ادب الطفل، هو أن نطرح بشكل مؤقت عدم وقوف القدامى عند ادب الطفل بمعناه المستحدث كنوع ومصطلح "ادبيين" برغم وجود النتاج النثرى والشعرى الخاص بأدبيات الطفل فى بطون كتب اللغة والأدب والأخبار على نحو ما عرضنا من فنونه النثرية والشعرية نقلاً عن أمهات كتب وإذا دلت هذه الفنون ذات العلاقة بالطفل على شئ فانما تدلنا على اصالة هذا اللون الأدبى ، بالتالى فإن الاراء أو الاحكام التى تصدر حول هذا اللون الأدبى ، يجب أن يضعها أصحابها فى مكانها الصحيح ، فلا غرو إذا قلنا أن علماء اللغة والبلاغة والنقد فى الحضارة الاسلامية لم يفطنوا الى تحديد مصطلح ما تسم به أدبيات الطفل أو أدب الطفل ، برغم وجود مادته فى أدبنا الرسمى ، لذلك يعجب المؤلف من الرأى القائل بأن هذه الموروثات ليست فى عدادأدب الأطفال ، يقول د. هادى نعمان الهيتى :

"ونجد فى التراث الشعرى العربى فيضا من المقاطع التى كانت تعنى للأطفال عند تلعيبهم أو تنويمهم ومن بين هذا التراث ما هو أغانى مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم ، وأغانى ملاعبة يرنهما الكبار للأطفال أثناء اللعب وقد أطلق مصطلح أغانى وترقيص الاطفال "على هذا الموروث الشعرى . . وهذه الموروثات ليست فى عداد أدب الاطفال)[1] بالرغم من أن صاحب الرأى له اهتماماته بأدب الطفل واصدر كتابا عنوانه : "أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه وسائطة" وأتبعه برصيفه "ثقافة الأطفال" فانه كمتخصص أكاديمى فى الاعلام والاتصال الجماهيرى وقع فى تناقض واضح فى مقولته

---

(١) ثقافة الاطفال ، د. هادى نعمان الهيتى ، ص٢٠٦ ، عالم المعرفة ، الكويت ، مارس ١٩٨٨ انظر كتابه :"أدب الاطفال ، فلسفته ، فنونه ، وسائطه" طبع هيئة الكتاب (طبعة مشتركة مع دار الشئون الثقافية ببغداد ، ١٩٨٦

الآنفة(أليست الأغنيه الأدبية أو الترنيمة الغنائية بالكلام الموزون المقفى من المنظوم من الشعر ؟! (.. بلى ولكنه لا يعدها من أدب الطفل) أو شعر الطفل ، ثم الأغانى أو الترنيمات فى مرحلتى المهد أو الصبا ليست حكرا على الأمهات فحسب ، وانما رددها الرجاز والشعراء والآباء والأجداد وغيرهم للأطفال ، على نحو ما قدمنا من مختارات فى هذا الفصل ، ولصاحب الرأى أن يعود الى الجملة الاستهلالية التى بدأ بها مقولته :"ونجد فى التراث الشعرى فيضا من المقاطع .. "ليضع رأيه فى مكانه ، وحسبه جهوده للمشاركة فى التنظير لأدب الطفل أن التفت لقضايا الطفل وثقافته فى الأدب الحديث وليس معنى ذلك كله أن نهدم مفهوم القول الشعرى فى أدبنا العربى الذى يدور فى أساسه حول المنظوم : وليس من شك أننا قد نختلف فى القيمة الأدبية والفنية لهذا المنظوم من الشعر ، ولكن أشتجار الرأى لا يمكن أن يهدم الأساس الفنى للمنظوم من الشعر ، لأنه لو كانت أغانى أو ترنيمات الطفل فى التراث الأدبى لا تحمل فى بنيتها أوزان الشعر أو قوافيه لاصبحت مقولة د . هادى نعمان الهيتى مقولة سديدة ، ولكننا عندما نستقرئ ما وصل من أغانى المهد أو أغانى الترقيص بالترنيمات الشعرية الغنائية ستجدها قد نظمت بالكلام الموزون المقفى ، والمرجح فى ضوء مناقشة رأى الباحث العراقى أنه إلا أن بالرأى على مصداقية رؤيته فى أن أدب الطفل جنس أدبى من الاجناس الأدبية المستحدثة ؛ ولقد حاولت أبواب الكتاب أن تثبت العكس . . وبعد ..

خاتمة مجملة :

هناك أتجاهان جديران بالوقوف عندهما ، سبر بهما العقل العربى المسلم أدبيات الطفل فى أساليب تنشئته :

أولاهما : (الاتجاه الدينى الأدبى) :

وأهتدى رجاله بأقوال الرسول(ﷺ) وأصحابه ، والخلفاء والأمراء وعلماء الحديث واللغه الأدب . وتتلخص رؤية أصحاب هذا الاتجاه ببدء إكساب الطفل منهج دينى (تحفيظ القرآن وبخاصة السور القصار منه ، ثم يحصل الطفل على المنهج الأدبى واللغوى (اللغه

والأشعار) . وقد كشفت أبواب الكتاب غير مرة عن أهيمة بدء تعليم الطفل وتأديبه بحفظ القرآن ومبادئ علومه ثم ماحسن من الشعر ، نظرا لما فى القرآن الكريم من أثر حاسم فى تقويم اللسان وتنمية ملكة البيان واستثارة الوجدان وحفز خيال النشئ لاكتساب المحصول اللغوى . يقول ابن سينا(.. فإن اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه : أخذ يتعلم القرآن ، وصورت له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين .. كما ينبغى أن يروى للصبى الرجز ثم القصد ، فإن روايته أسهل وحفظه أمكن ، لأن بيوته أقصر ووزنه أخف) . ومنه قول أبن يسام : ... وأول ما ينبغى للمؤدب أن يعلم الصبى السور من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل . ويدرجه بعد ذلك لمعرفة عقائد السنن ، ثم أصول الحساب ، وما يستحسن فى المراسلات والاشعار ، دون سخيفها ومسترذلها. (١)

وأمتدت أثار هذا الاتجاه الدينى الى العصور الحاضرة فى الاقطار العربية والاسلامية . مع اختلاف فى "الكم" أو الاسلوب عرض"المنهج" المعمول به كل قطر من تلك الأقطار

والثانى الاتجاه (الأدبى الدينى) :

هو اتجاه متجدد فى الحضارة الاسلامية ولا يتعارض مع الاتجاه الأول فى غاياته جميعا – وإن إختلف فى أساليب تحقيق تلك الغايات . ويأخذ أصحاب هذا الاتجاه بالمنهج التعليمى للطفل (المنهج التربوى) حتى يتعلم ويدرك بعد ذلك فهم ما يقرأ من القرآن ، يبدأ أنصار الانجاه الأدبى الدينى منهجهم بتعليم الطفل مبادئ اللغه وقواعدها والتدريب على الترسل ، وتلقين الطفل الشعر وروايته وإنشاده ثم ينتقل الطفل إلى القرآن وعلومه فإنه يتيسر عليه بعد جرعة التعليم أو التلقين اللغوية والأدبية أن يفهم أو يحفظ آيات أو بعض السور القصار من القرآن الكريم ، ومن ثم يستطيع أن يدرك مبادئ عقائد السنن والأخبار ، وقد شا ع هذا الاتجاه (الأدبى الدينى) إلى العصور الحاضرة ، ولكن بدرجة أقل من تأثير الانجاه(الدينى الأدبى) نظراً لتقلص دور الطبقة الهامة من المؤدبين والمعلمين والمحفظين للقرآن من ناحية المنهج التروى المتكامل عند سائر الأمصار العربية والاسلامية.

***

(١) نهاية الرتبة لابن بسام . تحقيق وتعليق حسام الدين السامرائى ص ١١٧ ، نشر مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨٧م .

بقيت ملاحظة هامة نختتم بها الكتاب مؤداها أن الشعر التعليمى الموروث كان يتوجه فيما يتوجه من مقاصد إلى تحقيق الأهداف الوظيفية للأدب فالشعر التعليمى فى منظوماته لا ينشد الجمال الفنى فى الشعر فى قيمته الأدبية الفنية الراقية أو طبقته العالية ، وإنما يهدف إلى أن يكتشف الطفل القيم التربوية والأخلاقية والوجدانية ، لذلك حرص منشئو هذا الفن التعليمى على ضرورة الابتعاد عن الخيال التركيبى والابهام أو الغموض المستغلق على ادراك الطفل ، ولا يضير الشعر التعليمى انه يقوم على النظم المحمل بالقيم والوصايا والمعارف أو التسلية على السنة الحيوان والطير وغيرها من المخلوقات . اننا نزعم بعد ذلك أن الشعر التعليمى له قيمته فى سياق مرحلة الطفولة Childhood التى يتوجه اليها ، فهو نظم لا ينشد الكمال الشعرى أو الجمال الفنى فى قيمته الأدبية بقدر تحقيق المنفعة اللغوية والتعليمية ، وانما لكونه حقيقة واقعة تدرس وتقرأ كما قال د . طه حسين وهو يعرف هذا الشعر فيقول: (. هو حقيقة واقعة تدرس وتستقرأ ، لامن حيث هو مثل أعلى يسمو اليه الشاعر والناقد ، وذلك لأن تاريخ الآداب مضطر إلى أن يتناول بحثه الشعراء مهما يختلف حظهم من الاجادة ،ومهما تفاوتت طبقاتهم فهو يعرض للشعراء النابغين ، كما يقف عند الشعراء الخاملين ، وكما يعنى بأواسط الشعراء)(١)

إن المدخل إلى أصول أدبيات الطفل فى التراث العربى الأسلامى ، تطلب الرصد اللغوى ، والأدبى للمفاهيم التى عرضنا لها بين ثنايا ما قدمناه انفا ، فقد عبر إلى أهمية مناقشة الفروق بين المفاهيم "التربوية" والادبية لذلك الأدب بهدف الوصول الى مفهوم أدب الطفولة"Childrens .literatature" وفى تعرض نماذج من الأنواع الادبية للصغار فى مجال النثر والشعر، ومن ثم نستطيع أن نزعم آمنين بأن أدب الطفولة له جذوره التراثية فى أدبنا ، برغم عدم التفات علمائنا ونقادنا إلى هذا الجنس الأدبى ، وبخاصة عند محور المفهوم الاصطلاحى * له .

---

(١) فى الأدب الجاهلى . د . طه حسين ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، ط ، دار المعارف ١٩٨٤ - م

* يبحث علم المصطلح فى طبيعة المفاهيم ، وتكوينها وخصائصها والعلاقات فيما بينها ، وتعريفات المفهوم ، وكيفية تخصيص المصطلح للمفهوم ، والمصطلحية علم يبحث فى العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التى تعبر عنها. انظر مقدمة فى علم المصطلح ، د . على القاسمى ، ص ١٧ ، ٢٠ بغداد ، ١٩٨٥ م .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- السيرة النبوية لابن هشام .
- الصحيحان (البخارى ومسلم) .

(أ) من كتب المعاجم والقواميس

(١) لسان العرب

(٢) مختار الصحاح .

(٣) المصباح المنير.

(٤) المعجم الوجيز .

(٥) معجم مصطلحات الأدب (د . مجدى وهبه)

(٦) قاموس علم الاجتماع (د عاطف غيث بالاشتراك)

(ب) من كتب التراث .

(١) البيان والتبيين للجاحظ.

(٢) ثمار القلوب للثعالبى .

(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى .

(٤) الحماسة لابى تمام ، بشرح التبريزى

(٥) المفضليات للمفضل للأصمعى .

(٦) الأصمعيات للأصمعى

(٧) الأغانى للأصفهانى

(٨) محاضرات الأباء للأصفهانى .

(٩) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

(١٠) المعارف لابن قتيبة .

(١١) الأمالى لأبى على القالى

(١٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق

(١٣) مجمع الأمثال للميدانى
(١٤) الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى
(١٥) نهاية الأدب للنويرى .
(١٦) الكشاف للزمخشرى .
(١٧) مجالس ثعلب لابى العباس بن يحيى .
(١٨) المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى .
(١٩) محاضرة الأخبار ومسايرة الأبرار لابن عزمى .
(٢٠) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام .
(٢١) نهاية الرتبة لابن بسام .
(٢٢) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى .
(٢٣) العقد الفريد لابن عبد ربه .
(٢٤) كليلة ودمنة لابن المقفع .
(٢٥) مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون
(٢٦) أحياء علوم الدين ، للغزالى .
(٢٧) أيها الولد المحب ، للغزالى .
(٢٨) أنباء نجباء الأبناء ، لمحمد بن ظفر الصقلى .

(جـ) من المراجع الحديثة والمعاصرة

(١) السياسة لأرسطو ، تعليق الأب يونس معروف اليسوعى .
(٢) تأديب الناشرين بأدب الدنيا والدين ، تحقيق محمد ابراهيم سليم .
(٣) التربية والتعليم فى مصر القديمة ، د محمود ذهنى .
(٤) تذوق الأدب ، طرقه ووسائله ، د . محمود ذهنى .
(٥) ألف ليلة وليلة ، د . سهير القلماوى .
(٦) أيام العرب فى الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى (بالاشتراك) .
(٧) فى الرواية العربية ، فاروق خورشيد .
(٨) الحكاية الخرافية . ترجمة د . نبيلة إبراهيم .
(٩) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، د . نبيلة إبراهيم .

(١٠) منهج الفن الاسلامى ، محمد قطب .
(١١) مدخل إلى الأدب الاسلامى ، د . نجيب الكيلانى
(١٢) فى أدب الاطفال ، د . على الحديدى .
(١٣) فجر الرسلام ، أحمد أمين .
(١٤) ضحى الإسلامى ، أحمد أمين .
(١٥) أصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوى .
(١٦) الوسيط فى الأدب العربى ، أحمد الاسكندرى (بالاشتراك) .
(١٧) المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د . شوقى ضيف .
(١٨) مصادر الشعر الجاهلى ، د . ناصر الأسد .
(١٩) فى الادب الجاهلى د . طه حسين .
(٢٠) حديث الأربعاء (جـ٢) ، د . طه حسين .
(٢١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . أحمد ضيف .
(٢٢) الغناء للأطفال عند العرب ، د. أحمد عيسى بك .
(٢٣) ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى .
(٢٤) ديوان ابن الرومى ، تحقيق د . احسان .
(٢٥) ديوان الصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس .
(٢٦) مع الموسيقى ، د . فؤاد زكريا .
(٢٧) النقد الأدبى الحديث ، د . غنيمى هلال .
(٢٨) خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، د . ابراهيم حمادة .
(٢٩) تنمية الابداع ، د . زين العابدين درويش .
(٣٠) ثقافة الأطفال ، د . هادى نعمان الهيتى .
(٣١) معنى الفن ، هربرت ريد ، ترجمة سامى خشبة .
(٣٢) التربية الجمالية المعاصرة ، ترجمة د . كاترين كالدسون .

(د) من الدوريات وبحوث المؤتمرات

- مجلة التراث الشعبى :

الطفل فى التراث ، د . كامل الشيبى .

- **مجلة عالم الفكر :**

اغانى البراءة ، د . عبد الهاب المسيرى .

- **مجلة العلوم الاجتماعية :**

نظرية الشعر عند الفلاسفة ، د . ألفت الروبى .

- **مجلة فصول :**

الشعر والفكر المجرد ، بول فاليرى .

- **مجلة العربى :**

الأطفال والأدب الشعبى ، د . محمود ذهنى .

- **المجلة العربية :**

أدب الطفولة . . قراءة جديدة ، د . أحمد زلط .

– بحوث مؤتمر الأدباء العرب (العاشر) طـ الجزائر ١٩٧٥ م .

المؤلف في سطور
د أحمد زلط

- من مواليد (الزقازيق . مصر- شنبارة الميمونة .)
- دكتوراه الفلسفة فى الأدب والنقد بمرتبة الشرف .
- أستاذ جامعي وكاتب من جيل السبعينات .
- عضو اتحاد كتّاب مصر .
- عضو رابطة الأدب الاسلامى العالمية بالهند .
- مؤسس جماعة الإبداع الأدبى .
- عضو مؤسس ومستشار تحرير فصلية سلسلة أصوات معاصرة .
- أستاذ مساعد الأدب الحديث وأدب الطفولة بكليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية .

صدر له :

- وجوه وأحلام (سلسلة أصوات) . طـ ٢ .
- الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية (هيئة الكتاب) .
- دراسات نقدية فى الأدب المعاصر(دار المعارف) .
- ديوان السنهوتى للأطفال جمع وتبويب(دار الشرق) .
- الطفولة والأمية سلسلة اقرأ(دار المعارف) .
- رواد أدب الطفل العربى (دار الأرقم) .
- ادب الأطفال بين احمد شوقى وعثمان جلال ، طـ ١ ، دار الجامعات .
- أدب الطفولة بين كامل كيلانى ومحمد الهرارى(دار المعارف) .
- دراسات نقدية فى الأدب المعاصر (طـ٢ الشركة العربية للنشر والتوزيع) .
- فى جماليات النص الأدبى (طـ ١ الشركة العربية للنشر والتوزيع) .

أدب الطفوله أصوله ... مفاهيمه (رؤية تراثية) طـ ٤ ، الشركة العربية للنشر والتوزيع .

من نشاطه البحثى :

- الاشتراك فى العديد من المؤتمرات العلمية المحلية بالجامعات .
- الاشتراك فى المهرجان الوطنى العربى السعودى للتراث والثقافة .

قائمة المحتويات

الباب الأول

«الأدب والطفولة»

الباب الثانى

«الفنون التراثية والطفل»

الباب الثالث

«الفنون الشعرية التراثية والطفل»

رقم الايداع (٩٥١٤ / ٩٠)